معارضة نص كتابين مخطوطين بنص كتابين مطبوعين

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة

في السرقة الأدبيّة

نزل بالفضل وآلهِ ، والأدب ورجاله ، خطبٌ جسيمٌ وبلاءٌ عظيم ، اذ أصيب بفريقٍ من الناس حشر نفسهُ بين طلّابهِ وأربابهِ الخائضين الميادين الكتابيّة ، المجلّين في مضمار المعارف ، المتحفين عالم العلم بروائع الآثار الادبيّة والتاريخية . وما خشي المتنطعون المغامرون بلا رويّة ان يحسبوا في عداد الطفيليين على موائدهِ ، الذين لا يقيمون الأمور وزناً ، ولا يراعون للأخلاق حرمةً ولا للوجدان كرامةً . وما همّهم ان تلوك الالسن سمعتهم وتنهك الاقلام حرمتهم ، وان يُلوّث شرفهم وتطعن كرامتهم وتلفظهم الشفاه ، بل تقودهم المراغب الى الاستمتاع باللذائذ والأطايب ، منها الشهرة الكاذبة التي يتعشّقونها مضحّين بكل غالٍ ورخيصٍ في غُنمها ، غير مكترثين لقوارص الكلام ، ولا مبالين بتنديدٍ أو ملام .

وكان الأجدر بهذا الفريق الاول ان يقبع في زوايا سكوتهِ وسكونهِ ، من ان يطلّ بوجههِ المبرقح المبقّع والمبرقع بجميع الوان البراقع ، اشفاقاً عليهِ من الامتهان والازدراء ، ومن ان يكون حديثهُ سخرية الساخرين . على انه يستسهل الوعر ويشحذ شفار العزم دائساً الشهامة والنزاهة برجل الاستخفاف وخارقاً شرعة الأدب والادباء توصّلاً الى نيل رغبتهِ في هذه الشهرة الزائفة الباذخة عن هذه الطريقة المشينة المعيبة .

امّا الفريق الثاني فهو من تلك الطبقة العالية المتنوّرة الكثيرة التفكير والتنوير ، ومن صفوف حملة الاقلام ذات الاشعاع المندفعة الى الأمام التي

ترسل انوارها فتخترق الحنادس ، وتضيء العقول المتخبطة في الدياجر ، فترى من حولها الدرر والغرر المنثورة ، فتلتقطها غذاء وذخراً .

على ان ما يُوسف له أشدَّ الأسف ، هو ان نرى بعضاً من هذا الفريق الثاني يتدنَّى ويخنع ، بالرغم من وجاهتـه وشهرتهِ في عالم الأدب ، لشهوتهِ المتمرِّدة الجيَّاشة الميَّالة الى المكاسب والمرابح ، سواء كان بحلالٍ او حرام ، فتعمي المادةُ العمياء بصيرتهُ فيعمد الى تناولها عن طريق الخسَّة والدناءة ، غير ملتفتٍ الى كرامة مقامهِ وبياض صفحة ايامهِ ، ذلك مما يندى لهُ الجبين خجلاً ويدمي القلب اسفاً وندماً .

ومما دعانا الى ارسال هذه النفثة الموجعة ، هو ما رأينـاهُ ونراهُ في كل عصر ومصر من فوضى الاقلام ولاسيَّما في هذه الايام ، وكثرة إقدام المتهوِّسين المتغطرسين أصحاب الدعوى العريضة ، على « السرقة الأدبية » لا يلويهم عنها شرف ولا يثنيهم عن الالتطاخ بردغتها حياء ، لظنهم انها تبقى لاطئةً وراء أستار الخفاء . لا تهتدي الى كشفها عين الضياء ، وقد ندَّ عن ذهنهم ان الآثار التي تركتها هذه الفعلة النكراء ، تشير اليها وهي أدلُّ عليها من دليل الفجر على الصبح . فاذا جاز ان يُنعت « لصوص المادة » بنعت اللؤم والـذمِّ واللوم ، فبالأولى يجب ان يُرمى بهذا النعت « لصوص الأدب » وهم بهِ أجدر وأحق ، لان سرقة ثمرة العقل هي اقبح من سرقة ثمرة اليد ، ولصوص الأدب ينعمون بثمر تعب ذوي الكدِّ والجدِّ ، الأمر الذي لا يجوز لهم ان يستحلّوه ، الا اذا استحلّوا سرقة « الذهب » فلهم عندئذٍ ان يستحلّوا سرقة « الأدب » .

٥

وقد بُلينا في هذه الآونة بمثل هـذا الخطب ، فهجم بعض الأغبياء حتى العقلاء ايضاً ، من ابناء العربية ومن ابناء الفرنجـة المختلفي الاطوار والحالات ، على كتابَينا « الاب شربل مخلوف حبيس محبسة دير عنَّايا » وكتاب « الاخت رفقة الريِّس الراهبة اللبنانية » فاختلسوا منهما ما استطيبوهُ وتذوَّقوه ، وبتروا ما بتروا ، وشوَّهوا ما شوَّهوا ، ونقلوا بحرفهِ الواحد ما نقلوا ، وترجموا ما ترجموا الى لغاتٍ متنوعة ، ومسخوا ما مسخوا ، وسلخوا ما سلخوا ، وسرقوا ما سرقوا على المكشوف والمفضوح ، وادَّعوهُ لانفسهم ، من دون ان يذكروا

الموارد التي نهلوا منها والمصادر التي أخذوا عنها هذه المعلومات أو هذه العبارات، وراحوا يتبجّحون بما نهبوهُ متنفّشين كالهرّ مزهوّين بهِ زهو الطاووس بريشهِ، متلبسين الظلام اخفاء لهم عن العيون. وقد جهلوا أو تجاهلوا ان كلّ سرقةٍ ماديّةً كانت أو ادبيّة، هي محرّمة ولا بدّ من يوم يُكشف فيهِ سترها ويُفضح امرها.

ونذكرُ اننا طالعنا من نحو عشر سنوات، ترجمة الراهبة رفقة الريّس في احدى المجلات، بنصّها الواحد الذي هو من قلمنا من اولها الى آخرها. نشرها حضرة الاب «المحترم» في مجلّتهِ غفلًا من اسمنا أو من اشارةٍ الينا ولو خفيّةً على الأقل بحسب الاصول المتعارفة. وانت خبير بان المقال اذا لم يكن مصورًا أو مذيّلًا باسم منشئهِ فانهُ يُنسب الى صاحب المجلّة أو الصحيفة التي نُشر فيها على ما هو معلوم ومفهوم. رأينا كل ذلكَ وسكتنا! ويظهر ان سكوتنا غرّ سواهُ فأغواهُ ففعل فعلتهُ، ولكنّهُ حذف وبدل ووارب وخاتل وراوغ وسرق بطريقةٍ لبقة لا تخفى عن كلّ ذي عينين لدى مقابلة النصّين!

وآخر ما مُنينا بهِ وابتُلينا، هجومٌ جديد فُوجئنا به ولم نكن نتوقعهُ. وتفصيل الخبر: بينا كنا نُلقي رياضةً روحيّةً في قريةٍ من قرى الشوف، في شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٢، وقع في يدنا صدفةً الجزء العاشر من مجلّة، نمسك الآن عن تسميتها، وهو جزء تشرين الاول من سنة ١٩٥٢، فقلّبناهُ فاذا في الصفحة ٦٢٢ منهُ، مقالٌ باربع صفحات عنوانهُ: «الراهبة رفقا اللبنانية ١٨٣٣—١٩١٤» متوّج باسم أبٍ «محترم» ايضاً. وأقلّ ما يُقال وينمّ عنهُ هذا المقال، ان كاتبهُ العبقري — حفظهُ الله حجّةً للتاريخ — قد حذق حرفة البتر والنسخ والمسخ والسلخ من ترجمتنا للراهبة رفقة، وأبت عليهِ طباعهُ الكريمة ان يشير الى الموطن الذي نقل عنهُ لا تلميحاً ولا تصريحاً اسوةً بزملائهِ الابطال[1]! ومما يُنبئ عن ان حضرة «المحترم» من مَهرة المؤرخين وحذّاقهم الخُلقاء

---

[1] كنا فرغنا من كتابة مقالنا: «معارضة نصّ كتابين مخطوطين، بنصّ كتابين مطبوعين» في صيف هذه السنة ١٩٥٢، في دير سيدة المعونات بجبيل، وقدّمناهُ للطبع. ولما وقفنا على مقال حضرة هذا الاب «المحترم» المومأ اليه، ارسلنا فاستعدناهُ حتى صدّرناهُ بهذه الكلمة في «السرقة الادبية».

بكتابة التاريخ ، هو قوله في خلال كلامهِ عن مراحل حياة الراهبة رفقة : « انها درَّست الصغار في قرية معاد سبع سنوات وفي تلك الايام صدر امر الكرسي الرسولي بالغاء الرهبانية اليسوعية فتفرق شمل الرهبان والراهبات كل الى بلاده .»

فكم كانت دهشتنا عظيمة لدى قراءتنا هذه العبارة التي استنكرناها أشدَّ الاستنكار ! وما درينا من اين أتى حضرتهُ بفكرة إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة الكريمة حتى نَصَبَها في هذا الموضع ! ؟ وما الداعي لاثباتها في هذا المقام ! ؟ ولمَّا كان حضرتهُ قد سلَخَ مقالهُ هذا برمَّته من ترجمتنا لهذه الراهبة كما أسلفنا ، رجعنا الى هذه الترجمة لنرى اذا كنا قد وقعنا هناك في هذا الخطإ، فاذا بنا نقول :« وفي تلك الأيام ارتأى الآباء اليسوعيُّون ان يتفرَّق شمل الراهبات لأسباب[1] » واننا لم نذكرها في حينهِ ، لانها تُدرك بداهةً من سياق كلامنا عن أدوار حياة الراهبة رفقة التي أتينا عليها بالتفصيل . وما كانت تلك الأسباب إلَّا حوادث سنة ١٨٦٠ الشهيرة التي ضعضعت مداخها وأهوالها العقول ووقف العقلاء إزاءها مكتوفي الأيدي حائرين لا يعلمون كيف يصنعون ! وكلُّ من لهُ أدنى إلمام بالتاريخ لا يجهل ان البابا اكليمنضوس الرابع عشر ألغى الرهبانيَّة اليسوعيَّة مكرهاً تحت تأثير الضغط والارهاب وذلك في سنة ١٧٧٣[2] . فأين كانت الراهبة رفقة ! ! ؟ وأين كانت جمعيَّة راهبات القلبين الاقدسين في تلك السنة التي أُلغيت فيها الرهبانيَّة اليسوعيَّة ! ؟ ؟ فإنَّ صاحبنا شطب بجرَّة قلمهِ فوق اسم سنة ١٧٧٣ التي صدر فيها مرسوم « الإلغاء » وأثبت مكانه اسم سنة ١٨٦٠ ، فتحصَّلت النتيجة من مقدّمات كلام حضرة الاب المحترم على هذا النحو :« ان البابا اكليمنضوس الرابع عشر المتوفَّى في سنة ١٧٧٥ أصدر أمرهُ في سنة ١٨٦٠ بالغاء جمعية راهبات القلبين الاقدسين (قلب يسوع وقلب مريم) المرتبط قانونها بقانون الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي فيها تفرَّق شملُ الراهبات والرهبان ، اي في سنة ١٨٦٠[3] » ، زه ! زه ! أكذا تكون المناطقة ونتائج مقدّماتهم ! ! ؟

---

١) ترجمتنا للاخت رفقة الريس الراهبة اللبنانية . الطبعة الاولى . بمطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٣١ ص ١٦ .

٢) عليك بمقال الاب شيخو اليسوعي في هذا الموضوع (المشرق ٢١ [١٩٢٣] ٥٦١)

٣) راجع بحث الاب شيخو في نشأة جمعية الراهبات المريمات التي اسسها الخوري دانيال

أهكذا يكتبون في التاريخ !! ؟ أَعلى هذا الشكل يكون التصحيف والتحريف والخبط والخلط والجهل والعمى !! ؟ أما كان الأفضل لهذا الاب ان ينصرف الى الكتابة في بحث جديد ، غير بحث الراهبة رفقة ، يدرُّ عليه الشهرة التي يتطلَّبها ، من ان ينقل من كتابنا فيمسخ ، ويطلع علينا بمثل هذه الفهاهة !! ؟ اننا نراهُ وأيم الحق ، جديرًا بان نخصَّهُ بهذه الأبيات التي خطرت لنا فنظمناها، ونحن في معرض هذا الكلام ، وهي :

لله درُّهُ كاتبًا ومؤرِّخًا ... ضوى الحقائقُ ان تحطَّ بيابهِ
ويودُّ تاريخُ البلادِ بأسرهِ ... تعفير جبهتهِ على أعتابهِ
واعتزَّ لبنانُ به يوم الوغى ... بسهولهِ وبطاحهِ وهضابهِ
حمل اليراع وكان أوَّلَ فارسٍ ... خاض المعامع في رؤوس حرابهِ
ان صرَّ فوق الطرس هزَّ صريرهُ ... إبنَ المقفَّع فانثنى بترابهِ
او جالَ في التاريخ جولة عالمٍ ... متحقّقٌ أربى على أقطابهِ
دانتْ لهُ الأقلامُ في تحقيقها ... وتمشتْ اليهِ تعبُّ درَّ عبابهِ
كم قال قبلي في البريَّة قائلٌ ... يا ليتني قد كنتُ من حجَّابهِ
ليظلُّ رأسي شامخًا بشموخهِ ... واظلُّ أغرفُ من خضمِّ سرابهِ
وأكون تيَّاهًا بهِ بمشيرتي ... ما زلتُ أرتعُ في فناء رحابهِ
يا بهجة التاريخ في طلّابهِ ... ان كان هذا الفردُ من كتَّابهِ
سيجدُّ البالي وينشرُ ما انطوى ... ويعيدُ رونقهُ وغضَّ اهابهِ
ورواة طلعتهِ وسالفَ مجدهِ ... ان خطَّ سطرًا في سطور كتابهِ
فتراهُ يرفلُ في مطارفِ وشيهِ ... كالبدر يخطرُ في سنى جلبابهِ
بالنسخ بل بالمسخِ أصبح ماهرًا ... متفوّقًا حتى على أربابهِ
بالخبط بل بالخلطِ آية دهرهِ ... قد بزَّ من سبقوه من اصحابهِ
داءٌ أُصيبَ بهِ وعزَّ دواؤُهُ ... يا للمصيبة في حلول مصابهِ

ه

ألا ينصفنا قرَّاؤنا بعد كلّ هذا التلميح أَو التوضيح ، ويعطوننا الحق كل الحق في قولنا الصدق بتهمة أبطالنا بالسرقة الأَدبيَّة وبالسلخ والمَسْخ ، وبتشويه الحقائق وابدالها بالمخارق !! ؟ عن قريب نضع النقط على الحروف ونقابل

الجميل ، وكيفية انضمامها الى جمعية راهبات قلب يسوع ، ففيهِ حدُّ الكفاية « المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٦٤١ – ٦٥٦

سرقاتهم بكتاباتنـا بأجلى وضوح ، فتنكشف عندئذٍ الرغوة عن الصريح ، ويظهر الحق ويزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقاً !

وهناكَ فارسٌ آخر مغوار من فرسان هذا الميـدان ، وهو أبٌ « محترم » ايضاً ، برز الينا من الورا. منتضياً سيفاً طويلاً لا يتناسب هو وقامتهُ ، ونزل الى ساحة كتابنا المعروف « الاب شربل مخلوف » وجال فيها جولة بطولة ورمى أو ضرب هـذا الكتاب ناهجاً نهج أضرابه الشجعان ، فقطعَ وبترَ ، وشطرَ وشترَ ، ونسخَ ومسخَ ، وسلخَ وفسخَ منهُ العبارات التي نطق بها الاب شربل، ودار حولها دورةً ثمَّ ضمَّها في كرّاسةٍ صغيرةٍ وطبعهـا باسمه سنة ١٩٥٢ تحت عنوان :« كلمات الاب شربل » في ٤٠ صفحـة[1] . ولم يتنازل حضرة هذا « المحترم » الذي يتمرّن على الضرب والرماية ، ويفيدنا عن المصدر الذي سلخ منهُ هذه « الكلمات » الخالدات ! فبرهن بذلك على انهُ ضرّاب ماهر وقطّاع نادر ! ! فلله درّهُ ! !

كذا فلتكن أبطـال التاريخ والادب ! كذا فلتكن مضارب سيوف الفرسان ! وعلى غرار ابطالنا البسلاء فلتطبع حملة الاقلام وقادة الاذهان ! انهُ :

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ ! . .

٭

ولا يتوهَّم قرّا. « المشرق » الألبّا. ، ان الامر انتهى عند هذا الحدّ ؛ ويا ليتهُ انتهى ، لكان هان الخطب وخفّت المصيبة واسترحنا وروّحنا ، ولكننا رأينا كثيرين من طراز اصحابنا المطرطرين ؛ قد حذو حذوهم في الإقدام على السرقة من كتابنا « الاب شربل مخلوف » بالرغم من اعلان تنبيهنا على صدر صفحة عنوانه ، بان جميع حقوق الطبع والترجمة والنقـل والاقتباس محفوظة للمؤلف » اي لنا ، الذي لم يكترثوا لهُ ، بل اقتبسوا واختلسوا منهُ ما شاءوا وشاءت رغائبهم وأذاعوا كتاباتهم هذه النفيسة بكلّ صفاقةٍ ووقاحة خاليةً من ذكر مواطن الاختلاس او الاقتباس ، بعد ان قنَّعوها أقنعةً شفَّافةً لا تستر خزيهم ولا تحجب عنهم طريق الهزيمة . وسوف نأتي على ذكرهم واحداً فواحداً مجاراةً لرغبتهم في توسيع شهرتهم ، ولا نحرمهم آيات الثنا. والاعجاب ببطولتهم ! !

---

١) اطلعنا على هذه الكراسة ايضاً اتفاقاً وعَرَضاً اذ كنا في جهات الشوف .

لقد وهموا أو توهموا بأنهم اذا راغوا روغة وسرقوا سرقة من الجانب عن حياة الاب شربل والراهبة رفقة وخطوها بقلمهم وعلموها وبرقشوها بأسمائهم، يظن الناس ان الله قد آتاهم فتحاً مبيناً ونصراً عظيماً، فافتتحوا بجدة ذكائهم ومضاء عزيمتهم اميركة جديدة، مع ان الناس يعلمون بان الذي افتتح اميركا من قبلهم هو كريستوف كولمبس، بعد ان خاض البحار وركب الاخطار وقاسى الاهوال. ورحم الله الشيخ عبدالله البستاني الذي قال:

لو كنتُ أقدرُ ان أعاقب أبحرًا قاسى بها كولومبسُ الأهوالا
لنزعتُ منها درَّها وجعلتُهُ فوق الضريح لشخصه تمثالا

لم يطلع علينا أصحابنا بشيء جديد قد خفي عنا أمرهُ في حياة الاب شربل او الراهبة رفقة لنقرّ لهم بالبطولة والمقدرة، ولكنَّهم كانوا عالةً علينا في كل ما بحثناهُ وحققناهُ عنهما! فما الداعي اذاً لكلّ هذه الخرشفة والعطرسة؟!

ما حيلتنا بهؤلاء المتبجحين المتفيشين الفوارس بالتاريخ؟! وقد سُدَّت بوجهنا الحيل في ردعهم وزجرهم عن مثل هذه السرقات، والشاعر يقول:

لي حيلةٌ في من ينمُّ وليس «للسرّاق» حيله

قيل: ان الشيخ ابرهيم اليازجي نظم بيتين من الشعر تحت رسم، فاقتبس اديب بك اسحق منهما المعنى وسبكهُ في بيتي شعرٍ من نظمه، ولما اطلع عليه اليازجي وأعجباهُ قال: «من سرق واسترق فقد استحق» ولو فعل اصحابنا لكنا سكتنا وأطرأنا، ولكنَّهم سرقوا فغلطوا ولم يرقوا ويسترقوا ليستحقوا. ويبين انهم أحبّوا ان يمثلوا دور عيسو فمثلوهُ! فالى أبطالنا هؤلاء «المحترمين» ونظائرهم نوجه الكلام قائلين:

اين كنتم عندما بدأنا بسنة ١٩٢١، نبحث وننقب عن حياة عبيد الله الثلاثة: الاب نعمة الله كسّاب الحرديني والاب شربل زعرور مخلوف حبيس محبسة دير عنايا والراهبة رفقة الريس من حملايا!؟

اين كنتم وقت نشرنا في سنة ١٩٢٢ مختصر حياة الاب شربل في مجلّة «المشرق» الزاهرة، وحياة الاب الحرديني مشفوعة بذكر عجائبه في مجلّة «رسالة السلام» وحياة الراهبة رفقة في المجلّة «البطريركيَّة» وقد طبعناها على حدة

طبعتين ! ؟ لماذا لم تكتبوا عنهم في ذلك الحين ؟

اين كنتم حينما كنا نجول في انحاء لبنان قاطعين المسافات الشاسعة ومعانين مشاق السفر تارةً مشياً وطوراً ركوباً ، ومتأبطين دفاترنا وأوراقنا ومتحملين ثقل التعب ومضض الحرّ والقرّ والجوع والعطش ، للتقصي والتفتيش عن آثار هؤلاء البررة الاتقياء ! ؟

كم من مرةٍ سقطنا عن ظهر مطيّتنا فأصبنا برضوضٍ وجروحٍ في هذا السبيل أطلقنا من ورائها التأوه والأنين ! ؟

كم من ليالٍ سهرناها الى ان افترّ ثغر الفجر لقدوم الصبح ، ونحن مكبّون على التدقيق والتحقيق في حياتهم حتى أبرزناها بمثل هذا الجلاء والوضوح ! ؟

كم من عقبات كأداء صدفناها في حلّنا وترحالنا فذلّلناها ! وكم من عُقَدٍ وشكالاتٍ وجدناها فحللناها ! وكم من أعراقٍ وجهودٍ بذلناها مستسهلين الصعاب غير حافلين بالأتعاب في خدمة رجال الله الاقطاب ! ؟

بحقكم قولوا لنا اين كنتم في ذلك الحين وما خضتم هذه الميادين ! ؟

اين كنتم حينما دخلنا في احد الأيام غرفة مخدومنا المفدّى قدس الآباتي اغناطيوس داغر التنّوري رئيس الرهبانيّة اللبنانيّة العام سابقاً ، فرأيناه ينضّد ثيابهُ في حقيبةٍ استعداداً للسفر الى رومة العظمى لتقديم واجبٍ بنويٍّ فقط ، فقلنا لهُ : « من حيث انكم ذاهبون الى رومة فلا يصعب عليكم ان تشاوروا هناك مَن تريدون فيما اذا كان مناسباً ان تعرضوا لقداسة البابا موجز حياة رهباننا : الاب نعمة الله كسّاب الحرديني والاب شربل مخلوف والاب دانيال العَلَم الحدثي[1] (حدث الجبّة) والراهبة رفقة الريّس ، وما أجرى الله على ايديهم من العجائب أحياء وأمواتاً ليجري الفحص عنها . هل تعلمون ماذا اجابنا؟ قال وهو يهزّ برأسه :« اننا بالكدّ نعرف اسماءهم يا بُنيّ ، وليس لدينا كتابة ما ولو قصيرة نستند اليها في فتحنا هذا الفتح ! » وفي حال سماعنا جوابه اسرعنا الى غرفتنا وأتيناهُ بدفاترنا المنطوية على أبحاث مسهبة عنهم ، ولما رآها مستوفية

---

١) أرجئت دعوى هذا الاب البار الى ما بعد البتّ بقضية اخوانه الثلاثة ، وهو لا يقل عنهم طهارةً وقداسةً وشهرةً . وقد افردنا لهُ دفتراً خاصاً متضمناً الابحاث الجدّية في حياته النسكية ، وربما نشرنا ترجمتهُ في مجلة « المشرق » المنيرة .

شروط الدقة والضبط قال متعجباً: «اي متى عملتم هذا العمل؟ ومن قال لكم تعملوه؟» قلنا: «بدأنا به في سنة ١٩٢١، وعبيدالله هم الذين ألهمونا مباشرته» فأمر عندئذٍ بضمّ دفاترنا هذه الى حقيبته وسافر في اليوم التالي الى رومة سنة ١٩٢٥[1]، وأخبر بالامر الكردينال سينشيرو وأطلعهُ على الدفاتر وسألهُ رأيهُ، فاجابهُ الكردينال: «من كل بُدّ اعرض المسئلة لقداسته». فتشجّع الاب التنّوري، ولمّا مُثل بحضرة قداسة البابا بيُوس الحادي عشر في الرابع من ايار من السنة المذكورة، بسط له القضيَّة بايجاز راجياً ان يتنازل ويأمر بالفحص القانوني عن حياتهم. فقال لهُ قداستهُ: «حين وصولك الى لبنان باشر في الحال فتح الدعوى رسميًّا والمجمع المقدس يفيدك عن كيفيَّة السير فيها، وانا أسعفك...»

عاد الاباتي التنُّوري الى لبنان متهلل الوجه عامر الصدر بدواعي الفرح والابتهاج بنجاح المسعى، وباشر للحال فتح الدعوى، ونحن الذين انشأنا العرائض الثلاث وكتبناها على ورق من العادي الصقيل ورفعها قدسهُ الى المثلَّث الرحمة البطريرك الياس الحويك الذي عيَّن لجنةً خاصة للفحص والتحقيق في هذه الدعوى المهمَّة. ولم تزل بيد احد افرادها ثلاثة تحارير قدَّمناها لهُ، هي بخط يد الاب الحرديني نفسه، عثرنا عليها بشق النفس بعد تفتيش استغرق ثلاثة ايام في اكداس من الاوراق والرسائل غطتها طبقات الغبار، في بيت الوجيه المرحوم ابرهيم الخواجا من جران (بلاد البترون) والى الآن لم يرجعها الينا بالرغم من مطالبتنا بها مرارًا. ونذكر ان احد هذه التحارير للاب الحرديني، مؤرخ في سنة وفاته وهي ١٨٥٨، وقد رأينا فيه نثار الرمل على امضائه تجفيفاً لحبره جرياً على عادة الكتَّاب في ذاك العصر.

بعد ان بسطنا ما بسطناهُ، نصدع بهذه الحقيقة بدون ادنى تهيب وتحرُّج: ان فكرة إثارة قضيَّة عبيد الله الثلاثة في دوائر رومة هي فكرتنا، ونحن أول من كتب عنهم[2]، وان اللجنة التي عُهد اليها بالفحص والتحقيق عن حياتهم وعجائبهم، فالى دفاترنا رجعت وعليها عولّت واعتمدت وبنورها استضاءت،

١) طالع تفاصيل هذه الرحلة (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] ٨٠ – ٩١)

٢) ترك لنا قلم الاب نعمة الله الفدُّوم الكفري الشهير بعض صفحات عن حياة الاب الحرديني وعجائبه، جمعناها من هنا وهناك، ولو لم نظفر بها لكانت تلاعبت بها ايدي الضياع.

اذ لولاها ما كانت لجنة ولا كان فحص او رفع قضية الى رومة ! واذا كنتم في ريب مما قلناهُ ، فالاب المحترم التنوري ما زال حيًّا يُرزق ، فاسألوهُ ! اسألوهُ فتعلموا اذا كنا صادقين أو كاذبين ! بحقكم قولوا لنا ايها «الأشبال» أصحابنا ، اين كنتم في جميع هذه الأدوار التي ذكرناها ! ؟ أكنتم بالامس نكرةً واليوم اردتم ان تصيروا معرفةً بكدّكم واجتهادكم في الكتابة عن الاب شربل والاخت رفقة !؟ بارك الله في همتكم العالية ! !

هل يعلم القرّاء اين كانوا ؟ يعلم جميع عارفيهم انهم كانوا في ذلك الزمن متوسدين وساد الراحة طربين بالأحلام اللذيذة ، لا يخطر ببالهم واحد من رجال الله الثلاثة المذكورين ! وما انتبهوا من سِنة الكرى إلّا على دويّ عجائب الاب شربل الجبّارة في هذه الآونة الأخيرة ، فهبّوا وأسرعوا الى الكتابة عنهُ وعن رفيقيهِ ، اظهارًا لمقدرتهم الكتابيّة وتضلّعهم من التاريخ ، ولما رأوا اقلامهم صدئةً ومحابرهم جافّةً ودفاترهم فارغة ، تعمّدوا قلمنا وحبرنا ودفاترنا . فلله درّهم !

٭

ومما زاد في الطين بلّة وفي الطنبور نغمة ، هو ان فريقاً من أمثال هؤلاء الافاضل ، قد بلغت بهِ الجرأة والجسارة على سرقة آثار الرجال الأموات ، لا يصدّهم حياء عن نبش القبور وسرقة المطمور ! وهل من وصفٍ أو نعتٍ معيب ومؤلم معاً ، وهو ان يُقال للرجل : «يا سارق اكفان الموتى ! ؟» ومن الناس من يستأهلون مثل هذا الوصف أو النعت المذموم ، لانهم لا يتورّعون من سرقة الاموات واحترام الرُفات ، وذلك باغارتهم على كتابٍ خطيٍّ قديم سواء كان وضعاً او ترجمةً فينتحلونهُ ولا ينخاونهُ ويصدرونهُ ويُصدّرونهُ باسمائهم الكريمة ، ويطمسون اسم مؤلّفه أو مترجمهِ بخطّ الدناءة والصغار مواراةً لهُ عن الابصار ، لوهمهم انهُ كرّت على هذا المخطوط سنون وأُهيل على صاحبهِ تراب السلوّ والنسيان وتوارى في خبر كان ، وهم لم يفطنوا الى عين الله الشديدة السطوع التي تكشف خفايا الظلام وفعلة الظّلام ولو من بعد حين ، ولم يصغوا لصوت الله الصارخ في الآذان : «لا تسرق» ! والسرقة لا بدّ من ان تفتضح ولو عبرت عليها مئات السنين . وفي دفاترنا الشيء الكثير من امثال هذه السرقات الادبيّة المتنوعة

القديمة والحديثة التي تنبئ عن بطولة اصحابها الذين خالفوا قول من قال :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً انما من « يسرق الشيء » البطل

انا نصارح أبطال هذه السرقات وبالأخص ابطال سرقة كتابينا معلنين للجميع : اننا قد عقدنا العزم على اقامة الدعوى القانونية على المترجمين والناسخين والمقتبسين عن كتابينا في الاب شربل والراهبة رفقة ، والناشرين في جميع اللغات من اية طبقةٍ ولغةٍ كانوا ، المتعيشين أو الراغبين في الشهرة « على ظهر » الاب شربل والاخت رفقة ، المستأثرين بالأرباح غير مقدمين شيئاً منها للرهبانية. وقد صممنا ايضاً على وضع درس خاص مستفيض ، في هذه السرقات وما يلابسها ويلامسها من ضروب الاحتيال ، مع ذكر موضعها واسماء ابطالها ، مقيمين الدليل على كلّ شاردة وواردة ، وسيكون المقبض الذي يشدّهم من حديد ، بحيث لا يستطيعون ان يجدوا لهم معوزاً أو تمحُّلاً او مفلتاً للهرب من الاقرار بها والتحمّل لتبعتها ولا شي. يثنينا عمّا قصدناه ، لا من صداقةٍ ولا من سياسة ولا من تعارف ولا من رابطة من الروابط ، وذلك كبحاً واذلالاً لغطرستهم وزجراً لنظائرهم الذين تحدثهم نفوسهم بمثل هذا الإقدام أو الاقتحام المخجل !

ونقول ايضاً : انهُ اذا كان في عيشهم إمساكٌ وضيق ، فليلتمسوا الرفق والرزق من غير هذه الطريق ! أو كانوا من محبّي الشهرة ، فليطلبوها من غير هذا المصدر البالي العتيق !

ويعلم جميع عارفينا ومعاشرينا ان ليس من طبعنا التعرّض لمثل هذه الامور. ولكنهم أحوجونا فأخرجونا عن دعتنا وسكينتنا وحملونا على ارسال هذا الرشاش اللاهب المتطاير من شق قلمنا ، الذي يلفح ويلفع ويسفع ويصفع وجوههم الضعيفة وحدها لعلّها تندى بعرق الخجل والحيا. فيكفونا مؤونة هذا الاعنات ! وما كان أغنانا وأغناهم عنهُ لو لاذوا بالصمت الذي هو خيرٌ لهم وأبقى . ولو لم يطرقوا هذا الباب ، لما كنا أسمعناهم هذا الجواب . وقد سقط في محلّه .

هل دار في خلدهم يا ترى اننا « تقدّمنا بالسنّ » كما وهمت مجلّة « المسرّة » العزيزة في خلال اطرائها أحد ابحاثنا ، وتولّانا العجز والوهن وكلّ اليراعُ في

يدنا فأمسينا عاجزين عن صدّ هجمات المتهجّمين علينا والمتحككين المتحرّشين بنا من دون سبب ؟ فاطمئنانا لبالهم نعالنهم : باننا لم نجتز بعد السنة السابعة والخمسين من عمرنا ، وما زلنا بعون الله ، على ذلك النشاط والجَلَد على العمل الذي يمهده بنا اصحابنا وتعهده مجلّة « المسرّة » التي نشكرها على كلمتها الطيّبة بحقّنا ، ولم يتسرّب الينا بعده ونى أو قعود وفتورٌ أو جمود ، ولن يتسرّب وينال منا ، باذن الله ، ما امتدّ بنا حبل الحياة . وباستطاعتنا ان نردّ كيد الكائدين ونطس الراغبين في مكاسحتنا ومكاشفتنا بالعداوة لغير علّة ، وان نكبح جماح المطرمذين ونكفّ ايدي الطارقين بابنا للسعاية لا للهداية لعلّهم يُطرقون ويخجلون ! ! وبهذا القدر كفاية لأولي الألباب[1].

---

١) لدينا ابحاث خطيرة في حياة الاب شربل والراهبة رفقة ، كتبناها من نحو ثلاثين سنة وهي لم ترَ النور بعد ، ونبشر « اصحابنا » باننا عازمون على نشرها ، فلينتظروها ليتخاطفوها لقمة سائغة وغنيمة باردة ! !

معارضة نصّ كتابين مخطوطين بنصّ كتابين مطبوعين

المخطوط الأول

في خزانة كتبنا الخطيّة بدير سيّـدة المعونات (جبيل)، كتاب خطي يتضمّن «تسعة تأملات روحيّة في سيرة القديس انطونيوس (الكبير) النسكية» وينتهي كلّ تأمل بمخاطبة القديس انطونيوس وصلاة ونموذج. وضعهُ باللسان التلياني الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي، ونقلهُ الى اللسان العربي الخوري اندراوس اسكندر الماتوري اصلاً والقبرسي مولداً[1] ترجمان المجمع المقدّس،

1) راجع ما كتبهُ عنهُ العلّامة المطران يوسف الدبس في كتابهِ «الجامع المفصّل في في تاريخ الموارنة المؤصّل» عدد ٩١ صفحة ٤٦٩ - ٤٧١، وذكر الدبس هناك انه لم يعرف من تآليفه سوى مقالة في ترجمة القديس مارون وثبات الموارنة الدائم في الايمان الكاثوليكي بالايطاليانية، ومقدّمات علقها على كتاب القداس الماروني المطبوع تحت نظره سنة ١٧١٧ برومة في خزانة كتبنا المؤما اليها، كتابٌ خطي تحت رقم ٣٧ عدد ١٩، يسمّى «كتاب محبة يسوع» نقله من اللغة التليانية الى اللغة العربية في سنة ١٧٣٧ الخوري اندراوس اسكندر المذكور تلبية لطلب القس يواقيم قدّوم الراهب اللبناني.

يبتدئ هذا الكتاب «بفاتحة في محبة يسوع ص ٢ وبرقم فهرسه ص ١٠»، ينطوي على ثلاثة اقسام. القسم الاول يتضمن «ثمانية اسباب تقود الى محبة يسوع» ص ١٢. والقسم الثاني «ثماني وسائط مسهّلة ربح محبة يسوع» ص٧٦، «وصلوات وطلبة لاسم يسوع» ص ١٠٤. والقسم الثالث «ثماني علامات الى محبة يسوع وفي علاماتها ودلائلها» ص ١١٩. ويلي ذلك «رياضة خشوعية نحو السيد المسيح يجب ان تصير كل يوم في مبدا (ابتداء) النهار صحبة الصلوات السماية» ص ١٦٧. ثمّ «ايضاً قول مختصر عن آلام السيد المسيح لان يسوع قد اوحى بذاته الى القديسة اليصابات والقديسة بريجيتا» ص ١٧١. ثمّ «تأمل مختصر في الآم المسيح» ص ١٧٦ منظم على عدد ساعات الليل والنهار التي تألم فيها المسيح. ثم «تأملات مختصرة في الآم سيدنا يسوع المسيح مبنية على ظروف الحدوث وهي ثمانية» ص١٩٠ وهذه التأملات غير تامة لسقوط اوراق منها. ثمّ «تأملات على ايام الجمعة في جهنم» ص ١٩٥.

يقع هذا الكتاب المخطوط في ١٩٧ صفحة. طولهُ ١٦ سنتمتراً. عرضهُ ١١ سنتمتراً الصفحة منهُ ٢٠ سطراً. مضى على نسخهِ مائتان واحد عشر عاماً. مكتوب بالحرف السرياني الكرشوني، بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر. خطّهُ جميل جداً، مجلد بجلد اسود مهترئ لتقادم عهده. قد اعملت الارضة اسنانها في اوراقهِ فثقبتها وخرقتها واذهبت بكلمات عديدة من فصوله. كُتب على ظاهر الصفحة الاولى منه بخط مختلف بالكرشوني: «وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان اللبنانيين».

اجابةً لرغبة رهبان دير مار بطرس ومرشلينوس في رومة العظمى ، ونسخهُ بخط سرياني – كرشوني – على ورقٍ عبادي ، الاب جرجس قشوع السطاوي الراهب اللبناني[1] ، في ديرنا سيدة طاميش سنة ١٧٦١ ، يقع في ٢٤٨ صفحة . مجلّد بجلدٍ اسود . مكتوب بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر . طولهُ ١٥ سنتمترًا وثلاثة ارباع السنتمتر . عرضهُ ١٠ سنتمترات وثلاثة ارباع السنتمتر . الصفحة منهُ ١٩ سطرًا .

كُتب على قفا الصفحة الأولى منه بخط كرشوني مختلف :

« هذا الكتاب الى الاب قرياقوس البقعاتي قد تسلّمهُ حين عمّر مدرسة الصليب باعتنا حضرة الاب مرقص الكفاعي المدبّر . الله يرحمهُ »[2]

ورد في اوله بعد البسملة ما يلي بالحرف الواحد :

(بحبر احمر) « نبتدي بعون الله وحسن توفيقه تعالى في كتابة تسع تأملات روحيه في « سيرة القديس انطونيوس النسكيه موسس الديارة الرهبانية

جاء في اوله بعد البسملة ما يلي بالحرف الواحد :

« قد استخرج هذا الكتاب المبارك من اللغة الايتاليانية الى اللغة العربية الاب الفاضل « العالم العامل الذي رضع من حليب المدارس واستفاد وافاد بعلمهِ وحزمهِ لمن اقتدا (اقتدى) « بفعله وهو الخوري اسكندر القبرصي ترجمان المجمع المقدس ومعلم اللغة السريانية والعربية « في مدرسة الحكمة برومية الكبرى سنة الف وسبعماية وسبع وثلثين مسيحية وهو كتاب « جليل مستتاب ينير العقل والبصيرة ويهيج الارادة هيجانًا كليًا في المحبة نحو يسوع المسيح « الذي اشترا (اشترى) الانفس بدمه الكريم وكان الساعي في استخراجه النفس بواقيم « قدّوم الراهب اللبناني من رهبان ماري انطونيوس الكبير اب الرهبان » .

وجاء في ذيل صفحة ١٩٧ المتضمنة اسم ناسخهِ ، وهي الاخيرة ، ما هو بحرفهِ :

« انتهى والمجد لله لا ينتهي بيد العبد الخاطي الشدياق انطونيوس ابن الخوري سمان « من قرية غوسطا في اليوم الثامن والعشرين من شهر تموز سنة الف وسبعماية واحدى واربعين « مسيحية . فارجو من الاخوة القاريين الدعا وعدم المواخده بما يجدوه من النقص لان « الكمال لله وحده صح » .

١) راجع ما جاء عن الاب جرجس قشوع ، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، للاب لويس بليبل احد آباء رهبانيتنا ، في مجلدين كبيرين . مطبعة يوسف كوى بمصر ، سنة ١٩٢٤ و ١٩٢٥

٢) ان مدرسة الصليب كانت شيّدت في طرَف قرية بجدرفل (بلاد البترون) بمحلّة تُدعى « بقرقريا » . واما الاب مرقس فهو من عائلة الحداد من قرية عين كفاع (بلاد جبيل) ، انتخب رئيسًا عامًا لرهبانيتنا اللبنانية ، وكان من آبائها المشهورين بالفضيلة والملحوظين بلاحظة الاعتبار رئيسًا كان او مرؤوسًا . وظلّت هذه المدرسة بيد الرهبانية سنين طويلة الى ان باعها الرئيس العام الاب مرتينوس سابا السطاوي .

(بحبر اسود) « الَّفها الاب فرنسيس غلوسيوس الايسوعي واستخرجها من اللغة
« الافرنجيه الى العربيه الخوري اندراوس سكندر ابن المدرسه المارونيه لافادة طلّاب الكمال
« في الديانه المسيحيه »

وجاء في آخرهِ ما نصُّهُ :

«قد نقل هذا المولف (المؤلَّف) المفيد من اللغة اليتليانة (التليانية) الى العربية لافادة راغب
« الافادة على يد الخوري اندراوس سكندر القبرصي تلميذ مدرسة الموارنة سابقًا وترجمان
« الكرسي ارسولي والمجمع المقدس حالًا . وترجمه بطلب الابا الافاضل رهبان ماري انطونيوس
« الموارنه القاطنين في رومية في دير القديسين بطرس ومرشللين قاصدًا نحو عبادتهم نحو ماسمهم
« (مؤسسهم) الجليل وحسن دعاهم ودعا اخوتهم الكاينين في الامصار اللبنانية المفيدين جميع
« الطوايف الشرقية بحسن سيرتهم النسكيه وامثالهم ورسالاتهم الروحية . والمجد لله دايمًا .
« وقد كمل نسخ هذا الكتاب المبارك في ثمانية وعشرين من شهر ايار المبارك سنة
«١٧٦١ (١٧٦١) . ربأن يد الحقير في الكهنه جرجس قشُّوع كنيتًا (كنيةً)
« عوصطاني (غوسطاوي) مولدًا راهب لبناني اسمًا بدير سيدة طاميش من اقليم كسروان
« في جبل لبنان »

اليك مقدَّمة الكتاب وديباجتهُ ، بالحرف الواحد ، وهما لمؤلفهِ :

(بحبر احمر) « تقدمة الى القديس الانبا مار انطونيوس العظيم»

(بحبر اسود) « اني اقدّم لك يا اب الديارة والرهبان . يا اب السيره النسكيه
« المشهور بالقداسة الفريده النجيبه . هذا التأليف من قلمي الضعيف . لكي انال به
« شفاعتك عني وعن كلمن يقف عليه ويقراه . اذا كانوا انجذبوا كثيرون الى هجر العالم
« ومثابرة الفضيله من قراة (قراءة) سيرتك المحرره من القديس اثاناسيوس(١) الجليل
« وحاذوا الثواب الابدي وفازوا بالخلاص . فكيف لم ارجوا انا ايضًا بان المتأملون بحسن
« سميك المدون في هذا الصنف يحصلوا على اصلاح سيرتهم ان كانت معوجه او يضطرموا
« بغيرة الاقتدا بامثالك الحميده وباقتفا اثاراتك المقدسه . او اقله يتنوا يومًا فيومًا في
« افعال الديانة والخير بتمبدهم الزايد لك القادر على اعانتهم . فهلم اذًا ايها البطل السماوي
« وامدد لي ولهم اجمع يد المعونه وايدنا بدعاك الى تحصيل الحاجة الواحده وهي امر الخلاص
« الابدي وامرًا اخر سواه فلا نتوق اليه ولا نتمناه »

(بحبر احمر) « الديباجه الى القاري »

(بحبر اسود) « لولا اظن بك ايها القاري النجيب بانك صاحب عقل ثاقب وتمييز
صايب لخفت انه لا عندك في محل القبول والرضا تأليف هذا المصنف بما انه حاوي اسبابًا
تحركه الى المباده نحو قديس من القديسين القدما . فالمتعبدون في ايامنا هذه يلازمون

١) قد نقل ترجمة القديس اثاناسيوس هذه للقديس انطونيوس الكبير ، من اللسان اللاتيني الى اللسان العربي العلّامة المرحوم الاب بولس عبُّود احد ابناء رهبانيتنا البلدية اللبنانية ، بعبارة فصحى وطبعها على حدة .

غالباً تكريم القديسين الطاهرين جديداً كأنهم اقرب اليهم عبادة كما انهم في زماننا او كانهم يكابدون نمباً جزيلاً في نغربل التواريخ السالفه ليجدوا لهم شفيعاً قد انشهرت قداسته في الاجيال الماضية او كانهم يظنون ان القديس المتجدد في السما اكثر قبولاً عند الله من المتقدم كما ان بنيمين حصل على اكثر اقبالاً عند اباه يعقوب من ساير اخوته. ثم من حيث تكريمنا القديسين مقترن غالباً بقصد الحصول على شفاعتهم لاقضا اعوازنا الروحية والجسدية فربما يظنون البعض انه قد فرغ او نقص قليلاً كثر النعم عند القديسين القدما وانه فايض ودافق عند الجدد . وانا ليس قصدي ها هنا البرهان في عظم شفاعة ماري انطونيوس القويه المأيدة (المؤيدة) الملتجيين اليه . لان ذلك واضح جلياً من المورخين القصص اليبيه ومن عدة الكنايس والهيا كل المشيدة في كل العالم من المومنين اكراماً لماري انطونيوس . ومن كثرة العجايب التي يجترحها باشفا المبتلين في الاسقام . والمتربين من ابليس اللعين شرقاً وغرباً ولم يجحدها الا خسيف العقل

« اما قصدي فهو اعراض هذه التسع تأملات وتقديمها اليك تكريماً لهذا القديس النفيس وافادةً لنفسك اذا تمسكت بعبادته الكريمة ولازمتها من صميم نيتك . قلتُ تكريماً له لانه بالحقيقه مستحق الاكرام الكلي لسمو قداسته . ولشرف فضايله التي تلالي بها (جاء) كالنور الساطع الموضوع على المنارة البيمية . وانار ابصار الناس الروحية . وفتح مدارس السيرة النسكيه . واوضح سبيل العيشة الرهبانيه المدعوة من باب الصواب من ماري بطرس دميانوس مدرسة التعليم السماوي وتهذيب العلوم الالهية . قد تفقهوا فيها تلاميذ عددهم لا يحصى الذين تفاضلوا وبانوا الى قمة القداسه والكمال . تنبينا عن اسايهم الشريفه التواريخ اليبيه

« وقلتُ افادةً لنفسك . بما ان سيرة القديسين هي كالصورة الاصليه امامنا لنرسم منها ان ردنا الخلاص وننسخ في قلوبنا تمثال الفضايل . ولا شك ان ماري انطونيوس صار بسيرته الملايكيه انموذجاً لنا لنقتدي به من حيث انه تسامى بمحبة الله والافراز واحتقار العالم والصلاه والتقشف والشجاعه في المجاهده عند التجارب الشيطانيه والانتصار عليها . فالقديس ماري اثاناسيوس استقر عن ذاته انه كان يستفيد جداً من تذكار ماري انطونيوس ويزداد قوةً لربح الكمال . فكم بالاكثر تستفيد انت اذا تاملت مراراً عديده تأملاً شافياً بحسن سلوك ماري انطونيوس وبشرف افعاله الفاضله . فلاجل هذه الغايه قد وضعتُ لك هذه التسع تاملات مقترنة باخبار وامثال وتعاليم مختلفة ومخاطبات خشوعيه مع القديس نفسه لتحصل بقرائتها ومواظبه استعمالها على اصلاح خصايلك واتقان سيرتك بشفاعته ثم تبلغ صحبته الى دار الرب وتسبح اسمه القدوس الى دهر الداهرين . امين »(١

---

١) في مكتبة ديرنا مار قبريانوس كفيفان ، نسخة خطيّة من كتاب التأملات هذا. جاء في رأس الصفحة الاولى منهُ :

« كتاب تسعة تأملات روحية في سيرة القديس انطونيوس الكبير النسكية مؤسس الديارة الرهبانية ، ألّفها الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي واستخرجها من اللغة الافرنجية الى العربية الخوري اندراوس اسكندر ابن المدرسة المارونية لافادة طلاب الكمال »

وجاء في آخر هذا الكتاب ما يلي :

ان هذا المخطوط الذي نحن في صدده، قد أغار عليه المرحوم الآباتي افرام حنين الديراني الراهب الحلبي اللبناني وانتحله وطبعه في تضاعيف كتابه الضخم «العيشة الهنية في الحيوة النسكيّة»[1]، في صفحة ١٨٠، الى آخر صفحة ٢٣٠، مُصحّح العبارة بقلم احد الكتبة المجيدين، بعد ان أسقط منهُ الاب حنين اسم مؤلفه ومترجمه، وأهمل المقدمة والديباجة المذكورتين خشية ان تنمّا عن مصنّفه فتُفضح الفعلة ويُكشف الأمر...

وانبدأ الآن بمقابلة النصّين اثباتاً لهذه الحقيقة. بعد ذكر المقدمة والديباجة، يأتي فهرس هذا الكتاب المخطوط وهو :

« وقد ترجم هذا المؤلَّف المفيد من اللغة الايطاليانية الى العربية لافادة راغب الافادة على يد الخوري اندراوس اسكندر القبرصي تلميذ مدرسة الموارنة سابقاً وترجمان الكرسي الرسولي والمجمع المقدس حالاً وترجمهُ بطلب الآباء الافاضل رهبان مار انطونيوس الموارنة القاطنين في رومية في دير القديسين بطرس ومرشلّين قاصداً نحو عبادتهم نحو مؤسسهم الجليل وحسن دعائهم ودعاء اخوتهم الكائنين في الامصار اللبنانية المفيدين جميع الطوائف الشرقية بحسن سيرتهم النسكية وامثالهم ورسالاتهم الروحية . والمجد لله دائماً

ثمَّ يأتي بعد ذلك :

« وقد كمل نسخ هذا الكتاب المبارك في الحادي والعشرين من شهر آب سنة الف وثمانماية واربعة وستين مسيحية بيد الفقير الاخ اقليموس الشبابي الراهب اللبناني بدير ماري قبريانوس كفيفان من بلاد البترون في جبل لبنان »

وهذا الكتاب منسوخ بالحرف العربي وبالحبر الاسود ، واما عناوينهُ فبالحبر الاحمر . يقع في ١٨٩ صفحة متوسطة الحجم ، مجلد بجلد احمر منقوش

ويظهر ان هذا الكتاب كان للطيب الذكر قدس الاب لورنسيوس (يمين.) الشبابي احد رؤساء رهبانيتنا اللبنانية العامين سابقاً ، بدليل كتابة اسمه في باطن دفّة جلد الكتاب الاولى هكذا :

« هذا الكتاب لاستعمال قدس الاب لورنسيوس الشبابي اللبناني سنة ١٨٦٤ »

ونسخة دير كفيفان هذه قد صحح عبارتها الاب نعمة الله المقدوم الكفري الشهير بالعلم والفضل كما هو مسطَّر تصحيحه بقلمه في كل صفحة من صفحاتها . وقد نسخها مصححة بقلمه وارسلها للاب لورنسيوس المومأ اليه وأبقى هذه النسخة الاصلية في يده على ما أفاد الاب الكفري في العبارة التي علّقها تحت اسم الاب لورنسيوس وهي :

« تمّ تعريبهُ وأُرسل لهُ ، وهذا بقي لاستعمال محرره الفس نعمة الله كفري لبناني » .

١) المطبعة الادبية . بيروت . سنة ١٨٩٩ ، في ٧٤٢ صفحة ، بقطع كبير . قد الحق الاب حنين بكتاب « التأملات » هذا ، تساعية القديس انطونيوس الكبير ، التي تُتلى في التسعة الايام السابقة تذكار عيده الواقع في ١٧ كانون الثاني ، المطبوعة بمطبعة دير قزحيا ، بدون ان يذكرها او يشير اليها .

كتاب التأملات المخطوط

التأمل الاول صفحة ٩

في عزم القديس ماري انطونيوس على ترك العالم

تامل يا قاصد الكمال المسيحي في ان القديس انطونيوس استعد من صغر سنّه استعداداً حسناً الى تحصيل الكمال والقداسة التامه . لانه ابتدى من صغره برياضة الفضايل الحميده واينع ازهاراً صدرت منها اثمار الحياة الابديه وهي الورع . والطاعه . والعفه . والاحتشام ونظيرها . واغتذى بحليب العباده وواضب (وواظب) الصلاة في الكنايس والسيرة

كتاب التأملات المطبوع

التأمل الاول ص ١٨٠

في عزم القديس انطونيوس على ترك العالم

تأمل يا طالب الكمال المسيحي في ان القديس انطونيوس استعد من حداثته استعداداً حسناً الى تحصيل الكمال والقداسة التامة فانهُ قد ابتدأ مع صغر سنه في ان يمارس الفضائل الحميدة فاينعت في جنانه وانت باثمار الحيوة الابدية ألا وهي الورع والطاعة والعفة والاحتشام ونظائرها قد اغتذى بلبان العبادة وواظب على الصلوة في الكنائس واعتاد السيرة

المخطوط

الفشنه في بيته وتجنب اللعب والتنزيه وكثرة الكلام . وجذه الاسلحة القويه حفظ نفسه وعاد سالماً من التوحل في سيان الادناس السيه (السيئة) . ياما نفيد برارة [١٠] السيرة لمن يرغب ربح النعمة الالهية . فقال عنه القديس ماري اثاناسيوس في الفصل الاول من سيرته . انه كان يسكن في بيته سالكاً في طريق البرارة بنوع انه لم يعرف سوى والديه وبيته . وبالحقيقة ان الصوف البكر هو قابل كل لون لامع وزريف (وظريف) . والفضايل التي يروضها الطفل قبل ادراكه لشرتها فانها بمنزلة الفجر الدال على ظهر صاح . اريني نفساً غالقة باب جنينتها لكل حية تبخ سمها الموذي على بياض سوسانها فاقول لك انها جنة مفعمة ازهاراً مختلفة منتخبة تجذب برايحتها الزكية الختن السماوي الى التردد فيها تردداً موبداً

اولا تامل يا هذا وانعجب (وتعجب) بحسن استعداد انطونيوس الشاب واحكم [١١] بالصواب انه بذلك صار عموداً متيناً في بنا الكنيسة المقدسة السري واكبر الكواكب في سمايها . ثم راجع التامل بذاتك وبسيرتك هل انك صرفت سني طفوليتك وشبوبيتك صرفاً يرضي الرب الاله ويبلغك الى الصلاح . هل هيبت (هيأت) نفسك وزينت دار قلبك بديباج السيرة الفاضلة لتاوي فيها الملك السماوي خالقك . اما فربما الامر بعكس ذلك فيا لنباوتك اذا توحلت من صغرك في طين حماة (حمأة) النجاسه . فيصح عنك ما قاله داود النبي في مزموره العاشر : تدنست طرقه في كل زمان

افحص ضميرك لعلك حررت في سفر حياتك ايام السقوط انوف من ايام النهوض .

المطبوع

الفشنة في بيته وتجنب اللعب والبطالة وكثرة الكلام فكان له ذلك كاسلحة حفظته من المثالب وَوَقته من التمرغ في حماة السيئات والمآثم . ان برارة المسلك تأتي بفوائد جمة لمن يرغب في نوال النعمة الالهية قال القديس اثناسيوس في الفصل الاول من حياة كوكب البرية انهُ كان يسكن في بيته سالكاً طريق البرارة وكأني به لا يعرف سوى والديه وبيته . وبالحقيقة ان الصوف في بدء اخذه هو قابل لكل لون جميل لامع كذلك الفضائل التي يعتادها الطفل قبل ادراكه هي كالفجر الدال على ظهور صباح بهي

من يريني نفساً وصدت ابواب جنتها في وجه كل افعى تحلّ فيها لتبث سمها الزعاف في عروق سوسنها الناصع البياض ولم تنمُ فاقول الحق انها لجنّة مفعمة ازهاراً مختلفة منتخبة تجذب براحتها الزكية الختن السماوي الى التردد فيها تردداً مؤبداً

اولاً : تأمل يا هذا وتعجب من استعداد انطونيوس الشاب واحكم بالصواب انهُ بذلك صار عموداً متيناً في هيكل الكنيسة المقدسة السري واعظم كوكب في سماء جمالها . ثم ردّد التأمل بسلوكك وسيرتك هل صرفت سنيّ طفوليتك وشبوبيتك في مرضاة الرب الاله لتبلغ الى ارض الصالحين هل هيأت نفسك وزينت معاهد قلبك بديباج السيرة الفاضلة ليأوي اليها الملك السماوي خالقك . فسقياً لك ان كان الامر كذلك ويا لنباوتك ان كنت منذ الحداثة تمرّغت في حماة النجاسة فيصح فيك قول النبي داود في مزموره العاشر : وجميع افكاره انه لا اله

افحص ضميرك لعل صفحات حياتك ايام السقوط تزيد عن ايام النهوض لعلّك لم

المخطوط

لعلك فتشت على من يرشدك الى منهج الطهر والخلاص والا اسرعت كبهيم لا لجاما له وزجيت نفسك [١٢] في لجة الاملك الغير المنضومة (المنظومة) تابعاً انحراف طبيعتك البشرية وهاملاً انعامات النعمة الربانية. لعلك اتلفت شرف الجوهرة الانجيلية متمرغاً في طين القبايح البدنية من غير ان تبالي بتوبيخ ارميا النبي لشعب اسرايل حين مال الى ارتكاب كل صنف من اللذات اللحمية . . .

التأمل السادس صفحة ١٣٠

في تواضع ماري انطونيوس

تامل في ان القديس انطونيوس لم يعود مرعباً الشياطين الا بسبب تواضعه العظيم لانهم راوه متضعاً بقدر ما كانوا هم متكبرين اي متشرفاً بفضيلة مضادة محض لرذيلتهم . فكان القديس محلاً بمواهب. روحية وموسوماً بعطايا طبيعية . وحاوياً استحقاقات جليله ومع ذلك لم يراه احد قط متشامخاً متنفخاً لاجل مواهب هذا عظم عددها ومقدارها . لكنه كان يقدم التواضع الروحي على المجد العالمي ويحسب ذاته احقر الناس وادناهم . بمنزلة القصبة الحاملة اثماراً شهية والمنحنية نحو الارض. فلم يعتبر نفسه اصلاً. ولا يقول او يفعل امراً الا ليعجب اعين الناس. او ليقتنص مديحهم. ومع انه كان ركن السيرة الرهبانية كان يرغب ان يظهر عادماً كل خير [١٣١] وفاقداً كل فضيلة مثل الكوكب القطبي الذي هو شريف بين كواكب السما ومع ذلك يظهر قليل الحركة والضيا . . . الخ

مخاطبة مع القديس انطونيوس صفحة ١٥١

ايها المتوحد الكلي التواضع الذي بقدر ما تساميت بالفضل والفضيلة بقدر ذلك وطيت

المطبوع

تفتش على من يرشدك الى منهج الطهر والخلاص وكنت كبهيمة جموحة لا لجام لها جمحت بك اهواؤك الى لجة الآلام لاتباعك اميالك البشرية واهمالك الهامات النعمة الالهية . اعلك اتلفت شرف الجوهرة الانجيلية بارتكاب النقائح البدنية دون ان تبالي [١٨١] بتوبيخ ارميا النبي لشعب اسرائيل حين مال الى ارتكاب كل صنف من اللذات اللحمية . . .

التأمل السادس صفحة ٢١٣

في تواضع ماري انطونيوس

تامل في ان القديس انطونيوس لم يك مرعباً الشياطين الا بسبب تواضعه العظيم لانهم رأوه متضعاً اتضاعاً يوازي كبرياءهم قد كان متسربلاً بالفضائل المضادة رذائلهم ومجملاً بمواهب روحية وموسوماً بسمات طبيعية قدسية ومالكاً على استحقاقات جليلة ومع ذلك لم يره احد متشامخاً كبراً وعجباً بل كان يفضل التواضع الروحي على المجد العالمي ويحسب ذاته احقر الناس وادناهم كالشجرة الحاملة اثماراً شهية والمنحنية نحو الارض فلم يكن يعتبر نفسه اصلاً او يقول ويفعل امراً ليعجب الناس فيكتسب مديحهم كلّا ومع انه كان ركن السيرة الرهبانية كان يظهر نفسه عادماً كل خير وفاقداً كل فضيلة كالكوكب القطبي اشرف كواكب السماء الذي يظهر قليل الحركة والضياء . . . الخ

مخاطبة صفحة ٢١٧

ايها المتوحد الكلي التواضع الذي بقدر ما تساميت بالفضل والفضيلة بقدر ذلك كنت متضعاً قد نلت المجد الخالد في السماء باتضاعك وخضوعك اني امتثك بما وصلت اليه وحصلت

المخطوط

ذانك وحصلت على التعظيم عند الله [١٥٢] لمحبتك نحو الصغر والحقارة عند العالم اني اهنيك بالغاية لحصولك على جوهرة ثمينة هذا مقدارها وزينت بها اكليل الملك السرمدي في السما وانا اسألك ان تستمد لي انا الشقي نعمة احبب بها فضيلة الاتضاع كما انت احببتها مع انك كنت في محل الاعتبار عند العال والدون . فانت عالم بشدة احتياجي انا المسكين على مسند التواضع ليايدني وينهج خطواتي بنعمته تعالى نحو السما . فان لا سبيلًا اليه من دون التواضع . اذا ما استطعت على ان اقدم للختن السماوي اثمار الاستحقاقات الساميه فساعدني يا صفي الله ان اقدم له هدايا الاتضاع الثابته في الوطاء عالمًا بان ايوب ايضًا [١٥٣] ارضى الله وهو مقيما في ادنى المواضع وهي المزبلة . انا من ذاتي لا قوة لي على ابراز شي الا اثمار الكبريا والتشامخ . فعليك توكلي واعتمادي لكي استحق بدعاك الرحمة الالهية بالخضوع والخشوع وانجو من نقمته تعالى الموانية المتكبرين

صلاة سهامية

لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطي المجد . الشعب المتواضع تخلصه وتوطي اعين المستكبرين

انموذج

خبرنا كسيانوس عن القديس انطونيوس انه حين كان منفردًا الى الصلاه سمع صوتًا من السما يصرخ اليه يا انطونيوس اعلم انك لم تبلغ الى الان الى الكمال . فناق به عليك الدباغ القاطن [١٥٤] في مدينة سكندرية . فانذهل انطونيوس اذ ذاك وراغبًا رسم كل فضيلة بنفسه بخير اعمال . تناول عصاته وتوجه نحو سكندريه وقصد دار الدباغ فتعجب

المطبوع

عليه وهو الجوهرة الثمينة التي ذينت (زينت) بها اكليل الملك السرمدي في السماء اسألك ان تستمد لي انا الشقي نعمة تحبب اليَّ فضيلة الاتضاع كما احببتها انت مع انك كنت في محل الاعتبار لدى الجميع من اي رتبة انك عالم بشدة احتياجي الى الاتضاع فأيدني وثبت خطواتي بنعمة الله وافتح لي السبيل التي ابلغ بها الى السماء ألا وهي سبيل التواضع يا صفي الله اذا كنت انا الحقير لا استطيع ان اقدم الى الختن السماوي اثمار الاستحقاقات السامية ساعدني لاقدم له هدايا الاتضاع والصبر نظير ايوب البار . لانني لا يمكنني وحدي ان اجني سوى قطوف الكبرياء والتشامخ . فاليك اليك اهرع وعليك اتكل لكي بشفاعتك انال المدد الالهي وانجو بنعمة الله من حبائل الكبرياء واتخلص من قيود الاثم

نافذة

لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطِ المجد . لانك تخلص الشعب البائس وتخفض عيون المترفعين (مز ١١٣ : ١ ومز ١٧ : ٢٨)

نموذج

خبرنا كسيانوس عن القديس انطونيوس انه حين كان منفردًا يصلي سمع صوتًا من السماء يقول يا انطونيوس انك لم تبلغ بعد الى الكمال فان الدبّاغ القاطن الاسكندرية يفوقك كمالًا فاتذهل انطونيوس ورغب في الوقوف على فضائل هذا الانسان ليقتدي به فتناول عصاه وتوجه الى الاسكندرية وقصد ذاك الدبّاغ فتعجب الدباغ عند نظره انطونيوس

المخطوط

الدباغ بالغاية بنظره انطونيوس آتيًا الى منزله لعلمه انه مشهورًا ومشهودًا بالتقوى والقداسة. وقال له مندهشًا : كيف يا ابا انطونيوس تنازلت واتيت الى حانوتي انا المسكين. اما انطونيوس اهمل كل مصاحبه واخذ يستفهمه قايلًا : انبيني يا حبيبي عن سيرتك وعما تفعله صباحًا ومسًا ولا تخفي عني امرًا. فهذا قصدي ولهذا الصدد انتشلت من البريه ومرت هذه المسافة البعيده وقدمت الى محلك . فأجابه الدباغ مخجولًا : [١٥٥] يا ابي انا عالم اني لم افعل شيئًا من الخير. فهذه عادتي عند الصباح ونهوضي من النوم وقبل ابتدي في شغلي . فاقول لذاتي : يا ويلي انا المسكين. . . الخ

المطبوع

آتيًا الى منزله لعلمه انه مشهورٌ ومشهودٌ له بالتقوى والقداسة وقال له مندهشًا يا أبت انطونيوس كيف تنازلت واتيت الى حانوتي انا المسكين اما انطونيوس فنبذ كل ما لا يجديه نفعًا واخذ يستفهمه قائلًا انبئني يا حبيبي عن سيرتك وعما تفعله صباحًا ومساءً ولا تخفِ [٢١٨] عني امرًا. فهذا قصدي ولهذا السبب جئت من البرية وسرت هذه المسافة البعيدة وقدمت اليك فاجابه الدباغ بخجولًا يا أبي انا عالم اني لم افعل شيئًا من الخير لكن لي عادة عند الصباح بعد النهوض من الرقاد وقبل ابتدائي في شغلي ان اناجي نفسي قائلًا ويلي انا المسكين . . . الخ

المخطوط الثاني

ان هذا الكتاب المخطوط يقع في ٤٨١ صفحة. طوله ٢٢ سنتمترًا ونصف السنتمتر. عرضهُ ١٦ سنتمترًا مجلّد بجلد اسود منقوش الدفّتين . جمعهُ وكتبهُ الاب نعمة الله النجّار البسكنتاوي[1] بخطه الجميل، بالحروف السريانية الكرشونية

1) وعدنا في مقالنا « انجيل خطي قديم منسوخ ١٥٦٦ » (المشرق ٤٦ [١٩٥٢] ٥٧٧) ان نأتي بكلمة عن الاب نعمة الله النجار جامع هذا الكتاب وناسخه، فنقول :

وُلد هذا الاب في بسكنتا سنة ١٧٦٠، وانضوى الى رهبانيتنا اللبنانية، وكان من الرهبان الفضلاء العلماء المشهود لهم بجودة الرأي والتدبير، ومن ذوي المنزلة الرفيعة في الرهبانية والطائفة . وقد انتدب لدرجة الاسقفية فأباها زهدًا وتواضعًا . ووقف على طبع بعض كتب في مطبعة دير قزحيا واتقنها، منها كتاب الانجيل (القداس الماروني) الذي تكلمنا عنهُ في مقالنا المشار اليهِ، وكتاب رسائل القديس بولس في سنة ١٨١٦، وكتاب فرض الاخوة الرهبان الموارنة المعروف « بشبيّة قزحيا » في سنة ١٨٠٩، بمعاونة الاب ساروفيم شوشاني ويدنا نسخة من هذا الكتاب، والطبعة الثانية للشحيمة في سنة ١٨١٩ . وعُيّن كاتبًا لاسرار البطريركية المارونية من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥، على ما صرح هو نفسهُ في « تنبيهٍ » الذي علّقهُ في آخر مخطوطهِ هذا، وسيأتي نصّهُ . وكان مسجّلًا للمجمع الطائفي الملتئم بدير سيّدة ميفوق (بلاد جبيل) سنة ١٧٨٠، بأمر المطران ميخائيل الخازن النائب البطريركي، وبحضور الاب دي بورنّا القاصد الرسولي (راجع الجزء الثاني من كتاب « الاصول المحجوبة » للعلّامة الاب بولس عبّود، صفحة ٢٦٩ و٤٣٢) . وكان

الملفوظة بالعربية ، بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر ، على ورق عادي صقيل ، اذ كان كاتباً لاسرار البطريركيَّة المارونيَّة من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥ ، ونقش هذا الاب بنقاشهِ (بقلمهِ) نقشاً بديعاً حول عناوين بعض فصولهِ . والصفحة من هذا الكتاب حقلان منفصلان بخط طويل اسود . يتضمَّن رسالة الخوري انطون القبَّالة البيروتي احد تلامذة رومة العظمى ، وقد مزَّق بها تلك التُهَم والشُبَه التي قذف بها الأمة المارونيَّة القس يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي في كرَّاستهِ ، وذلك في عهد السيّد ارسانيوس شكري مطران حلب الماروني. ويحتوي ايضاً هذا المخطوط ، الخطاب الجدلي المحامي عن القديس يوحنا مارون ، للمطران اسطفان عواد السمعاني ، وغير ذلك من الردود للخوري ميخائيل فاضل البيروتي والخوري الياس الجميّل ، والبراءات المثبتة صحة معتقد الموارنة ، وفهرس اسماء الاراطقة وارائهم والاجيال التي عاشوا فيها ، وسلسلة البابوات والمجامع التبليَّة وسلسلة بطاركة الموارنة التي تنتهي بالبطريرك يوسف اسطفان المُنتخَب سنة ١٧٦٦ .

عُرض هذا الكتاب المخطوط على العلَّامة المطران يوسف نجم النائب البطريركي فأجاز طبعهُ بعد ان طالعهُ ، بعبارةٍ كتبها بخط يدهِ بالعربي ، على الورقة الثانية البيضاء في اوله وذيَّلها بامضائه وخاتمهِ وهي :

« هذا الكتاب يتكلَّم في ايمان الموارنة وايمان القديس يوحنا مارون وليس فيه شيء يخالف قواعد الديانة . فلا مانع من نشرهِ

الحقير

في ١٤ ت ٢ سنة ١٨٩٤ (الختم) . المطران يوسف نجم

هذا الاب من معاصري المطران يواصاف دبس البسكنتاوي . وقد انتخب مدبّراً في مجامع عديدة ، واستمرّ متقلداً وظيفة المدبّرية ٣٧ سنة . وكان زاهداً ورعاً متقشفاً متقناً للخط السرياني والعربي . وتوفي بدير مار موسى الحبشي (قضاء المتن) سنة ١٨٣٦ . واليك ما سُطّر عنهُ في روزنامة هذا الدير ننقلهُ عنها بحرفهِ الواحد :

« قد توفي لرحمتهِ تعالى الاب نعمة الله النجّار البسكنتاوي بمرض القصر (الشيخوخة) لانهُ كان صار عمره ينيف عن الثمانين او الخمسة والثمانين . واستقام في وظيفة المدبرية سبعة وثلاثين سنة لحين وفاته ، في اول يوم من تشرين الثاني سنة ١٨٣٦ . وكان رجلاً غيوراً فاضلاً ناسكاً متقشفاً مصلّياً ذا سيرة صالحة . وتوفي بميتونة جيدة ومتسلّح بكافة الاسرار الالهية . تغمّد الله نفسهُ بالرحمات ونفعنا بصلواته امين . وكان كذلك بآخر رياسة الاب مكاريوس وادي شحرور » (طالع النبذة الوجيزة التي كتبها عن الاب النجار ، الخوراسقف بطرس حبيقه في كتابهِ « تاريخ بسكنتا وأُسرها » ص٧٥ .

وكتب احد رؤساء رهبانيتنا العامين، على قفا صفحة ٤٨١ من هذا المخطوط، هذه العبارة بخطه العربي ومهرها بخاتمه وهي :

« ختم قدس الاب العام تحت طايلة الحرم بان هذا الكتاب لا يخرج من اوضة المكتبة. صح صح » (الختم)(١

واليك التنبيه الذي كتبه الاب النجار، في صفحة ٤٨١، وهي الاخيرة من مخطوطه هذا، بحرفه الواحد :

« تنبيه »

« اعلم ايها الاخ القاري الحبيب هو انهُ انا المدوّن اسمي بذيله، اذ كنتُ مقيماً باطجياً (يازجياً ، اي كاتباً واميناً للسر) بخدامة الكرسي البطريركي من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥ ، وبهذه المدة قد انظهرت (اطلعتُ) على جملة كتابات محرّرة من الروم الملكيه قذفاً في طايفتنا الجليله المارونيه . فمن ثمَّ قد انظهرت (اطلعتُ) ايضاً على جملة كتابات محرّرة ردّاً على تلك ، مؤلفه من معلّمين محقين من ابنا طايفتنا . واذ رأيتُ ان هذه الكتابات مفرّقة كل كرّاسة بمفردها، فقد اعتنيتُ اعتناءً كلياً في ضمها الى بعضها ودوّنتها بكتاب واحد ، وذلك خوفاً من عدم الحصول عليها كل وقت . وثانياً لكيما اذا غيَّ القاري فك قضية في الكرّاسة الواحده ينظرهُ في الثانيه وغيرها . وقد اضفتُ على ذلك فهرس اسامي البابـاوات وازمنتهم والمجامع التبلية وسبب التئامهم، واسامي روسا البدع وراياتهم ، واسامي بطاركتنا وأوقاتهم . وذلك ليسهل على القـاري الاطلاع على تحقيق الشهادات وصدق ما هو محرَّر . وتمَّ ذلك بيد كاتبه الحقير القس نعمة الله النجار بسكتاني راهب لبناني ، في ١ شهر آب سنة (١٧٨٥) مسيحية . وهو وقفاً مخلّداً الى رهبنتي اللبنانية . صح »

قد أغار الآباتي افرام حنين الديراني أحد مدبّري الرهبانيّة الحلبيّة المارونيّة، على هذا الكتاب إغارته على كتاب « التأملات » المعهود ، وطبعهُ برمّته تحت عنوان « كتاب المحاماة عن الموارنة وقدّيسيهم »(٢ بعد ان أهمل منهُ فهرس اسماء المبتدعين وسلسلة البابوات والمجامع التبليّة وسلسلة بطاركة الموارنة ، وبعد

١) ان هذا الخاتم نُقش فيه اربع كلمات وهي : « اب عام لبناني ١٧٦٧ » . أما اوضة (غرفة) المكتبة التي يشير اليها الاب العام ، فقد كانت في دير سيدة طاميش مقرّ الرؤساء العامين السابقين .

٢) بمطبعة الارز ، جونية ، سنة ١٨٩٩ ، في ٥٢٠ صفحة . ومن العجب ان يُصدر الاب حنين كتابين ضخمين ، وهما كتاب الهيئة الحنية وكتاب المحاماة ، في سنة واحدة هي ١٨٩٩ .

ان محا ومحق اسم جامعهِ وناسخهِ الحقيقي الاب النجار ، ونسبَ جمعَ مباحثهِ اليهِ . ومن المؤكد ان هذا الكتاب وصل ليدهِ بوساطةٍ ، من مكتبة ديرنا طاميش التي أغناها الرؤساء العامون بالكتب الخطيَّة النفيسة النادرة . وانتدب الابُ حنين لتصحيح عبارة هذا المخطوط ، ابن بجدتهِ اللغوي المحقق الشيخ سعيد الخوري الشرتوني صاحب معجم « اقرب الموارد » وقد صدَّرهُ بمقدمة وخمسة مطالبٍ من قلمهِ متينة المعنى والمبنى ، وأثبت في آخره بحثاً علمياً تاريخياً واسعاً في « الملكيَّة والموارنة » للعلامة المحقق المدقق المثلث الرحمة البطاريرك يولس مسعد ، أمرهُ بضمّهِ الى هذا الكتاب البطريركُ يوحنا الحاج .

ومن غرائب الاتفاق اننا عثرنا على هذه النسخة الاصلية الوحيدة لهذا المخطوط في مكتبة مصححهِ الشيخ سعيد[1] في بيروت ، عند ابنتهِ الكريمة السيّدة أسما ، أرملة الوجيه المرحوم نعمان صالح نعمه ، وقد تكرَّمت بها علينا فاستحقَّت ثناءنا وشكرنا . وكأن الله اراد ان يعود هذا الكتابِ بعد غيبتهِ الطويلة الى مالكتهِ الرهبانيَّة اللبنانيَّة وهو منبثق من تعب ونصب الاب النجار أحد ابنائها ، على ما أعلن في « تنبيهِ » وقد مرَّ بك ، وفيهِ يصرح عن كتابهِ هذا بأنَّهُ : « وقف مخلّد الى رهبنتي اللبنانيَّة » . وهب ان هذا الكتاب كان لقطةً وقعت بين يدي الاب حنين ، أيجوز لهُ الاحتفاظ بها بعد معرفتهِ لمالكها – واللقطة تصرخ ابداً نحو صاحبها !؟ ولا ندري كيف سوّغ لنفسهِ نسبة جمع مباحث هذا المخطوط اليهِ !؟ ذلك ما لا نستطيع فهمهُ ، ولا يدركه إلّا الراسخون بالامانة للعلم والتاريخ !!

والى قرّاء مجلّة « المشرق » أمثلة من معارضة نص هذا الكتاب المخطوط ، بنص كتاب « المحاماة » المطبوع . وقد نقلنا بعض صفحات من هذا المخطوط ومن مخطوط « التأملات » ايضاً على الزنكوغراف :

١) طالع مقالتنا عن الشيخ سعيد الشرتوني وشقيقهِ رشيد ، في (مجلة « الورود » البيروتية ، الجزء العاشر من سنتها الاولى ، حزيران سنة ١٩٤٨ ، ص ٨ ، الجزئين الحادي عشر والثاني عشر ، تموز وآب ، من السنة نفسها ، ص ١٠)

مخطوطة الاب النجّار

فاتحة بصيغة رسالة صفحة ا

الى السيد الكلي شرفه والجزيل احترامه ارسانيوس شكري مطران حلب

ايها السيد الجليل

من بعد قبلة اياديكم المقدسة بكل احتشام واوقار . ربما لم يخفي علمكم الشريف بان قدس سيدنا المطران ميخايل الخازن النايب البطريركي الانطاكي الكلي الشرف والغبطه . حين كان جايلًا في رعية بلاد جبيل والبترون انعرضت عليه كراسه بصيغة رساله منسوبه من القس يوحنا عجيمي الكاثوليكي تلميذ المدرسه الاوربانيه الى الخواجا الياس عبده الكاثوليكي الحلبي . فلما قدسه قراها وتحقق بانها مسجسة ومأثره (ومؤثرة) في عقول الكثيرين من السذج. وان الطايفه المارونيه لم تزل متألمة من تعييرات الاضداد وهزوهم اليومي [٢] بها من قبل الكراسة المذكورة . التي هي مشحونه افترا وثلب وتهم باطله ضد الطايفه المارونيه وقديسها يوحنا مارون اول بطاركتها الانطاكيين . حينئذٍ قدس السيد المشار اليه طلب مني بحث بأن ارد عليها . فانا طاعةً وامتثالًا للامر المطاع حررت الجواب الحاضر . واضفة (وأضفتُ) اليه تلك الشهادات التي بحسب ضعفي وقصر الزمان امكنني اجدها عند البعض من المورخين المقبولين في بيعة الله المقدسه . الذين تعاطوا فيما يخص قصص واصل الطايفه المارونيه اكثر من غيرهم . واتخذت لي بمنزلة سندًا ومرشدًا بهذا الصنيع ما قد حرره ونطق به بهذا الصدد الاحبار الرومانيين السعيدي الذكر خلفا بطرس هامة الرسل السليحين

وبما ان سيادتكم الشريفه في كل اوان

كتاب « المحاماة » المطبوع

رسالة للطيب الذكر الخوري انطون الفيألة البيروتي تلميذ رومة

فاتحة بصيغة رسالة صفحة خ

الى السيد الجزيل الشرف ارسانيوس شكري مطران حلب

ايها السيد الجليل

ربما يكون قد اتصل بكم ان السيد المطران ميخائيل الخازن النائب البطريركي قد عُرض عليه وهو في زيارة الرعية ببلاد جبيل [د] والبترون رسالة من تأليف القس يوحنا عجيمي الكاثوليكي تلميذ المدرسة الاوربانية بعث بها الى الخواجا الياس عبده الكاثوليكي فتصفحها السيد المشار اليه فوجدها جامعة لمثيرات الاضطراب سيئة التأثير في عوامّ الناس وقد لحق الامة المارونية بانتشارها العار والخزي. فان الرسالة تلك مشحونة بشبه لا يُستطاع اثباتها وتُهم باطلة للطائفة المارونية وبقديسها صفي الله يوحنا مارون اول بطاركتها الانطاكيين فامرني المطران ميخائيل المومأ اليه ان اردّ عليها فانتشرت امره وانشأت هذا الردّ وعززتهُ بما اتصلت يدي اليه على قصر الزمن من شهادات المؤرخين المقبولي الكلام في بيعة الله المقدسة ممن تقصَّوا البحث عن اصل الطائفة المارونية بل ممن اشتهروا بالتبريز على من سواهم في كشف القناع عن وجه هذه المسألة . وقد استندتُ فيما سلبتُ واوجبتُ الى ما نطق به وكتبه في هذا الصدد اعلم الناس بالمسألة المشار اليها اي الاحبار الرومانيون رؤساء البيعة البطرسية ورعاة الامم الكاثوليكية

هذا ولما كنت ايها الحبر النبيل قد اظهرتَ عند كل داعية الحميّة والانفة للنض

الكتاب المخطوط

وحين تظاهرتم بالغيرة والحماية نحو الطايفه المذكوره وقديسها يوحنا مارون ليس فقط بل اظهرتم ذواتكم سنداً وملجا لكل من اقتدى بغيرتكم ومحاماتكم هذه الحميدة . . . الخ(١

الخطاب الجدالي صفحة ٩٧

المجامي عن القديس يوحنا مارون السرومي البطريرك الاول على الموارنه

طبع في مدينة روميه العظمى باذن الروسا سنة الف وسبعمايه وتسعه وستين . في مطبعة بولس جونكي خليفة بزاريني كومار كوس ومكفي وطابع كتب المكتبة الواتيكانية . وقد اذن بطبعه حضرة السيد البطريرك جردانو البطريرك الانطاكي نايب قدسه . والمعلم توما اغوسطينوس ريكينيوس راهب من رهبنة الواعظين . ومعلم البلاط الرسولي المقدس

الخطاب الجدالي

المحامي عن القديس يوحنا السرومي المكنى بمارون البطريرك الاول على السريان الموارنه

حاشيه لفظة سريان نعني عن لقب اهل بلاد سوريا كقولك عن سكان بلاد ارمينيه ارمن . وعن سكان بلاد فرنسا فرنساويين . وعن سكان بلاد اسبانيا سبنيوليين وهلم جرا

النص ضد الاقوال الكاذبة الملفة (الملفقة) من اوتيخيوس [٩٨] البطريرك الاسكندري المنافق وغيره من المورخين الذين تبعوه

قال بولس الرسول في رسالته الثانيه الى تلميذه تيموثاوس

كتاب «المحاماة» المطبوع

من كرامة الطائفة المارونية وقديسها يوحنا مارون بالتهم الباطلة بل جعلت من نفسك سنداً لكل من اقتدى بغيرتك ومحاماتك . . . الخ .

الخطاب الجدلي صفحة ١٠٣

المحامي عن القديس يوحنا مارون السرومي البطريرك الاوّل على الموارنة

قد طُبع في مدينة رومية العظمى باذن الرؤساء سنة ١٧٦٩ تسع وستين وسبعماية والف في مطبعة بولس غونكي خلف بيرازني كومار كوس ومُتمّ وطابع كتب خزانة الواتيكان . وقد اذن في طبعه السيد جردانو البطريرك الانطاكي نائب قدسه والمعلم توما اغوسطينوس ريكينيوس احد رهبان رهبانية الواعظين ومعلم البلاط الرسولي المقدس

الخطاب الجدلي صفحة ١٠٤

المحامي عن القديس يوحنا السرومي المسمى مارون البطريرك الاول على السريان الموارنة (٢

وهو في نقض الاقوال الباطلة التي وضعها اوطيخيوس البطريرك الاسكندري المنافق ومن تبعهُ من المؤرخين . قال بولس الرسول في رسالته الثانية الى تلميذهِ تيموثاوس : « بل على وفق شهواتهم يكدسون معلمين فوق معلمين بسبب استحكاك آذانهم

١) ان رسالة الخوري النيّالة تقع في الكتاب المخطوط في ٩٥ صفحة ، وفي كتاب « المحاماة » المطبوع ، في ١٠٣ صفحة

٢) اعلم ان لفظة سريان تطلق على سكان سورية كما يطلق الارمن على سكان بلاد ارمينية والاسبانيول على سكان اسبانيا والفرنج او الفرنسيس او الفرنساويين على سكان فرنسا .

الكتاب المخطوط

بشواحم يتذبون لانفسهم معلمين باهتياج سمعهم. ويصرفون اذانهم عن الحق ويميلون الى الخرافات اصحاح ٤ عدد ٣ و٤ .

اولاً

ان الطايفه المارونية من زمان مديد تحتمل جراة بعض اشخاص من غير طوايف شرقية. لا سيا البعض من طايفة الروم الملكيه . عند استماعها الاقوال التي كانت تنبث من المذكورين في توطي شانها . وهذه الاقوال ليس كانت تقال شرف هذه الطايفه فقط بل وشرف نيرات كنيستها الاكثر سموا ايضاً . لانه من الدقيقة التي ظهرت ارطقات نصطور وديوسقوروس واوطيخا وانشئوا مسيحيون بلاد سوريا الى اراء مختلفة .. وكل منهم تبع الراي الذي اضله . فجميعهم اخذوا يضطهدون هذا القطيع الصغير الذي حفظ بكل نقاوة وبغير فساد التعليم الرسولي الذي قبله من الرسل مع الذين بقيو من السريان . . الخ(٢

فهرس السندات صفحة ١٦٣

الاول

رسالة المطران ارسانيوس شكري مطران الموارنه بحلب . تتضمن الفتن التي حدثت بخصوص العباده والاوقار الواجب للقديس يوحنا مارون

يسال هل هو اراتيكي ام قديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الطايفه المارونيه . الذي كرسه بطاركًا انطاكيًا على هذه الطايفة

كتاب «المحاماة» المطبوع

فيصرفون مسامعهم عن الحق ويعدلون الى الخرافات» (تيمو ٤: ٣ – ٤) (١

اولاً صفحة ١٠٥

قد اتى على الامة المارونية ازمان متطاولة وهي تُغضي على ما يمسّ كرامتها ويغض من قدرها من الاقوال التي يبثُّها اشخاص من بعض الطوائف الشرقية ولا سيا طائفة الروم الملكية ولم يكن اثر تلك الاقوال قاصرًا على دهماء الامة المارونية بل متعديًا الى اكابر علمائها واعاظم رؤساء كنيستها

ألا وانهُ منذ الدقيقة التي ظهرت فيها بدعة نسطور وديسقورس واوطيخا واختلف مسيحيو سورية وذهبوا مذاهب متباعدة وتبع كلٌّ الرأي الذي أضلَّهُ شرعوا جميعهم يضطهدون هذا القطيع الصغير الذي حفظ بالصحة والنقاوة التعليم الرسولي الذي قبلهُ من الرسل مع الذين بقوا من السريان . . . الخ .

فهرس الاسناد صفحة ١٨٢

السند الاول

رسالة المطران ارسانيوس شكري مطران الموارنة بحلب وهي تتضمن احاديث ما جرى من الفتن في شأن الاكرام الواجب لصفي الله القديس يوحنا مارون عليه السلام

يُسأل أمبتدع ام قديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الامة المارونية الذي كرّسهُ بطريركًا انطاكيًّا عليها الطيّب

---

١) ان الشيخ سعيد الشرتوني اخذ آية القديس بولس هذه ، عن طبعة الكتاب المقدس للاباء اليسوعيين الذي صحح عبارته الشيخ ابراهيم اليازجي .

٢) ان هذا الخطاب الجدلي ، الذي هو من تأليف اسطفان عواد السماني ، يبتدىء من هذا الكتاب المخطوط من صفحة ٩٧ الى صفحة ١٦٣ ، وفي كتاب المحاماة من صفحة ١٠٣ الى صفحة ١٨٢ .

الكتاب المخطوط

البابا سرجيوس الحبر الروماني الصالح الذكر . هذا القديس الذي من اجل هذا السبب مضى الى روميه لنسد الحبر [١٦٣] الاعظم المذكور . مع ان مؤلفاته ووعظه ومجادلاته ضد اراطقة عصره تشهد بقداسته . وهذه التصانيف محفوظة في المكتبة الواتيكانية . وقد حرر سيرته المنسيور السمعاني الكلي العلم . لا سيما في تواريخ الكنيسة الشرقية . وهذه السيرة قد طبعة (طُبعت) باسم الحبر الاعظم اكليمنضوس الحادي عشر في مطبعة انتشار الايمان بفصاحة بليغة . . . الخ(١

عبودية ومقتصر صفحة ١٧٢
الى مجمع الرتب المقدسه

الى حضرة الكلي السمو والاحترام الكردينال كولونا بونوتي . بخصوص العباده المشهورة بالقدمية القديس يوحنا الرومي المكنى بمارون البطريرك الانطاكي

وهذه العبوديه مع المختصر قد تقدمت الى المجمع المذكور اعلاه . من حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني وباسم البطريرك والاساقفة والاكليروس والشعب الماروني . وقد طُبعت في مطبعة بيرنابو في سنة الف وسبعمايه واحدى وسبعين

مختصر الكتاب

يشتمل على ضمن السندات التي قُدمت من حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني . لدى السادات الكردينالية الكرام الكلي السمو والاحترام . المتقلدين بوضيفة (بوظيفة) الوكالة على مجمع الرتب المقدسة

كتاب «المحاماة» المطبوع

الذكر البابا سرجيوس الحبر الروماني . تولى الله هذا يمّم رومية زائرًا الحبر الاعظم المذكور للسبب المشار اليه اي لردّ مقالة من يتهم بالابتداع وان كانت تآليفهُ ومواعظهُ ومناظراتهُ في تفنيد مقالات الخوارج في عصره تنطق بقداسته وتلك التآليف محفوظة في خزانة الواتيكان [١٨٤] وقد ترجمهُ باعلى البلاغة السيد السمعاني الواسع العلم ولا سيما في تواريخ الكنيسة الشرقية اكليمنضوس وكلمنس واكليمنت وقد طُبعت هذه الترجمة باسم الحبر الاعظم قليمس الحادي عشر في مطبعة انتشار الايمان . . . الخ .

عرض حال مختصر صفحة ١٩٣
الى مجمع (الطرائق) الرتب المقدّسة

الى حضرة السامي المقام والاحترام الكردينال كولونا بونوتي في شأن الاكرام القديم العهد للقديس يوحنا الرومي الملقب مارون البطريرك الانطاكي

وقد رفع هذا العرض مع المختصر الى المجمع المذكور المطران اسطفان عواد السمعاني باسم البطريرك والاساقفة والاكليروس [١٩٤] والشعب الماروني . وقد طُبع في مطبعة بيرنابو سنة ١٧٧١ احدى وسبعين وسبعمائة والف للمسيح

مختصر الكتاب

يشتمل هذا الكتاب على ما قدّمهُ من الاسناد حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني لدى السادات الكرادلة الكرام السامي المقام المتوكلين على مجمع الرتب

---

١) ان فهرس الاسناد هذا في الكتاب المخطوط من صفحة ١٦٢ الى صفحة ١٧٢ وفي كتاب المحاماة المطبوع من صفحة ١٨٣ الى صفحة ١٩٣

الكتاب المخطوط

بخصوص الفحص عن قداسة يوحنا المكنى مارون البطريرك الانطاكي الاول على الطايفة المارونية . بما ان قدس سيدنا الحبر الاعظم قد اقامهم على هذا الفحص بمساعدة البعض من العلماء اللاهوتيين السامي فظلهم (فضلهم)

ايها السادات الكليو السمو والاحترام صفحة ١٧٤

اولاً لم يخفى عن سعادتكم انه منذ سنة الف وسبعمايه وخمسين . قد اشتهرت مجادلة في خصوص العباده للقديس ماري مارون الناسك . الذي ارخ سيرته الفاظل (الفاضل) تاودوريطوس . ومزق ايقونته كيرللس البطريرك على طايفة الروم الملكيين .

اما الحبر الاعظم بناديكتوس الرابعشر (الرابع عشر) الصالح الذكر قد اوجب الحكم بتأييد قداسة هذا القديس الناسك بمنشوره النافذ في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايلول سنة الف وسبعمايه وثلاثة وخمسين الذي ابتداه (من جملة غير امور) وبه يامر البطريرك المذكور ان يناقض ما ابداه . ولا يعود يتجاسر ان يبطل عن الطوباني مارون الناسك العباده المشتهره . . . الخ(١)

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين صفحة ١٩٩

تبتدي بعونه تعالى وحسن توفيقه في بيان وتثبيت الاكرام المقدم للقديس يوحنا السرومي المكنى مارون اول بطاركة الملة المارونية على الكرسي الانطاكي

كتاب «المحاماة» المطبوع

(الطرائق) المقدسة في شأن البحث في قداسة يوحنا الملقب مارون البطريرك الانطاكي الاول على الطائفة المارونية اذ ان سيدنا الحبر الاعظم قد وكل اليهم هذا البحث مع جماعة من افاضل اللاهوتيين

ايها السادات العالو المقام

اولاً : لم يخفَ عليكم انهُ وقعت سنة ١٧٥٠ خمسين وسبعمائة والف مجادلة في شأن اكرام القديس مارون الناسك الذي دوَّن سيرتهُ الفاضل تيوادوريطوس ومزّق صورتهُ كيرلُّلس بطريرك طائفة الروم الملكيين .

اما الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر الصالح الذكر فقد ايَّد الحكم بقداسة هذا القديس الناسك بمنشوره [١٩٥] الصادر في الثامن والعشرين من شهر ايلول سنة ١٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة والف الذي بدءه «من جملة امور أخر» . وقد أمر به البطريرك المذكور ان ينقض قولهُ ولا يتجاسر فيما بعد ان يبطل ما يقدَّم للطوباوي مارون الناسك من الاكرام . . . الخ

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد ص ٢٢٢

نبتدئ بعونهِ تعالى وحسن توفيقه باثبات الاكرام للقديس يوحنا السرومي الملقب بمارون اوَّل بطاركة الامة المارونية على الكرسي الانطاكي

مقدمة

في السبب الداعي الى اقامة هذا الاثبات

لما اخذت بدع نسطور وديوسقوروس واوطيخا تفور اواخر القرن الرابع واوائل

١) ان هذا العرض حال المختصر يبتدئ في الكتاب المخطوط من صفحة ١٧٣ وينتهي الى صفحة ١٩٨ . وفي كتاب المحاماة المطبوع من ١٩٣ الى ٢٢٣

الكتاب المخطوط

مقدمة

تشتمل على السبب الداعي لاقامة هذا البيان

انه لما ابتدت بدع نسطور وديوسقورس واوطيخا ان تفور اواخر الجيل الرابع واوايل الجيل الخامس ممتدة في بلدان سوريا . فنهظ(١) (فنهض) الى مقاومة المبدعين المذكورين كثيرون من المسيحيين لسيا (لاسيا) اهل جبل لبنان المتمسكون اشد تمسكاً بايمان اجدادهم القديم . الذي كانو (كانوا) تسلموه من الرسل الاطهار . وبهده بهداية الانبا مارون وارشاده الفاضل استمروا سليمين ليس من كل غلط معيب فقط . بل مبتعدين ايضاً من كل تهمة سية (سيئة) ومن كل سُو (سوء) مظنون بهم يشين حسن اعتقادهم . وقد كان هذا الرجل لفضله الكلي وقداسته انشى (انشأ) ديرًا شهيرًا في سوريا الثانية بالقرب من نهر العاصي . . . الخ

القسم الثالث صفحة ٢٧٣

في ان القديس يوحنا مارون هو خالي ومبتعد باي نوع كان وحتى بالوهم من ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

الفصل الاول

في ان القديس يوحنا مارون لم يكن اول من ابدع ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

قد زعم البعض من الذين قذفوا بالملة المارونية بان يوحنا مارون ليس كان اراتيكياً

كتاب «المحاماة» المطبوع

القرن الخامس متفشية في انحاء سورية تصدَّى لمناهضة اولئك المبتدعين ووقف في وجوههم كثير من المسيحيين ولا سيما اهل جبل لبنان الحراص على دينهم الذي زرعهُ في صدور اجدادهم الرسل الإطهار فهؤلاء بحوله تعالى وبارشاد الفاضل يوحنا مارون(٢) استمروا على ذلك الدين سليماً من كل غلط بريئاً وذلك لتباعدهم عن كل ما يدخل كلفاً على نقاء معتقدهم . وكان ذلك الهام الفاضل قد انشأ ديرًا عظيماً بسوريَّة الثانية على مقربة من العاصي . . . الخ

القسم الثالث صفحة ٣٠٦

في ان القديس يوحنا مارون هو أبعد من ان يتوهم بوجه ما انهُ من القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

الفصل الاول

في ابطال ان القديس يوحنا مارون هو أوَّل من ابتدع القول بمشيئة واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

قد زعم جماعة ممن قذفوا الامة المارونية بان يوحنا مارون لم يكن هرطوقياً فقط بل كان إمام القائلين بوحدة المشيئة والفعل في السيد المسيح وأوَّلهم . وكان الروم الملكيون قد تحيَّلوا لان يقذفوا القديس مارون الرئيس بهذه التهمة الشنيعة كما مرَّ بك في مقدَّمة الكتاب لكن الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر ابطل تهمتهم هذه [٣٠٧] ابطالاً

---

١) ان الضاد يكتبها الناسخ بالسريانية ظاء ويلفظها بها على ما رأيتَ قبلًا .

٢) والصواب : الانبا مارون كما هو مثبت في المخطوط .

فقط . بل راس القايلين بوحدة المشية والفعل في السيد المسيح واولهم . وقد كان احتال الروم الملكية على انهم يشينوا القديس مارون الريس بهذه التهمة الشنيعة كما يتضح مما اوردناه في مقدمة هذا الشرح . لكن الحبر الاعظم بناديكتوس الرابعشر (الرابع عشر) دحض تهمتهم هذه دحضاً مبيناً في منشوره المورد منا في العدد الثاني بقوله التابع .

اذا كان غلط القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في المسيح . ابتدى (ابتدأ) في عمر هرقل الملك كما هو معلوم عند الجميع . فكيف يمكن انه يكون انتشى (ابتدأ) على عهد موريقيوس الملك . انتهى . . .

(صفحة ٣٧٤) . . . قولهم سنة سبمايه وعشرة . ويتضح ذلك من جهة اخره (أخرى) اي من انه اقيم الموارنه بطريركا على الكرسي الانطاكي نحو سنة ستمايه وخمسه وثمانين . او سنة ستمايه وسبعه وثمانين . فان كانت بدعة المونوطيليطين ثبتت نحو سنة ستمايه وثلاثه وثلثين . فمن ذا لا يرى ناتجاً ان يوحنا مارون لم يكن حينئذٍ في الوجود . ام انه كان طفلاً صغير لا يفقه ولا يدرك . وبالنتيجة غير مستطيع ان يبدع او يعلم او يفهم ويدرك ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح . فكيف اذاً يزعم المفتريون انه كان اول مبدع الارطقة المذكورة وانه كان راس وزعيم وقايد المونوطيليطين .

ونزيد على هذا القياس برهاناً آخر وطيداً وأكيداً بالكفاية لاستناده على شهادة كتب قويمة مثبوتة قد صُنفت في ذلك العصر نفسه بكل حرص وامانة حيث يذكر فرداً فرداً جميع الذين ابدعوا ارطقة المونوطيليطين وحاموا عنها وانتصروا لها . ولم يُذكر بينهم يوحنا مارون او مارون آخر سواه قط . كما في منشوره الذي اثبتناه في العدد الثاني وذلك بقوله :

« ان غلط القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح قد ابتدأ في عصر هرقل الملك كما هو معلوم عند الجميع فكيف يصح انهُ يكون قد ابتدأ في عهد موريقيوس الملك » . اهـ . . .

(صفحة ٣٠٧) . . . قولهم سنة ٧١٠ عشر وسبمائة ويعلم ذلك من انه اقيم بطريركاً على الكرسي الانطاكي نحو ٦٨٥ خمس وثمانين وستمائة او ٦٨٧ سبع وثمانين وستمائة فان كانت بدعة القائلين بوحدة المشيئة والفعل قد نبتت نحو سنة ٦٣٣ ثلاث وثلاثين وستمائة فمن ذا الذي لا تراهُ مستنتجاً ان يوحنا مارون اما انهُ لم يكن في الوجود حينئذٍ واما انهُ كان طفلاً صغيراً لا يفقه ولا يدرك والخلاصة انهُ لم يكن في الامكان ان يُبدع أو يعلم أو يفهم بدعة القائلين بمشيئة واحدةٍ وفعلٍ واحدٍ في المسيح فما بال المفترين يزعمون انهُ هو مبتدع هذه البدعة وانهُ [٣٠٨] كان رأس اصحابها وزعيمهم وقائدهم

ونضيف الى هذا القياس البرهاني حجة متينةً معززةً بشهادة كتب قديمة مثبتة قد صنفت في ذلك العصر نفسهِ بعناية ما يستطاع من التدقيق وتحري الصدق اذ تورد اسماء مبتدعي تلك البدعة وانصارها واحداً واحداً ولا تذكر بينهم يوحنا مارون ولا ماروناً آخر . فراجع كتاب المجمع السادس المسكونيّ الملتئم في قسطنطينية سنة ٦٨٠

الكتاب المخطوط	كتاب «المحاماة» المطبوع
يتصرح من اعمال المجمع السادس المسكوني الذي التيم في القسطنطينية سنة ستمايه وثمانين . لهذا القصد خاصةً اي ليكشف اصحاب هذه البدعة ويحرمها . ففي بدي الجلسة او العمل الاول خاطب قصأد الكرسي الرسولي للملك على هذا المنوال	ثمانين وستمائة للميلاد ابتغاء ان يكشف اصحاب هذه البدعة ويحرمها ففي الباب الاوّل من كتاب هذا المجمع صورة خطاب قصأد الكرسيّ الرسوليّ للملك واليك نصهُ :
من حيث انه منذ سته واربعين سنة اقل ام اكثر . قد ادخل بعض الفاظ جديدة تضادد الامانة الارثوذكسية اوليك الذين كانوا روسا في مدينتكم الملوكية المحروسة من الله اعني سركيس وبوليص وبيروس وبطرس وكوروس الذي كان سابقاً ريس مدينة اسكندرية . . . الخ(١)	«من حيث انه منذ نحو ست واربعين سنة قد ادخل الفاظاً جديدة تضاد الامانة الصحيحة اولئك الذين كانوا رؤساء في مدينتكم هذه الملكية المحروسة وهم سركيس وبولس وبيروس وبطرس وكوروس الذي كان قبلاً رئيس مدينة الاسكندرية . . . الخ

هذا ما رأينا ان ننقلهُ من نصّ هذين الكتابين المخطوطين ، ونعارضهُ بنصّ كتابين مطبوعين انتحلها الاب افرام حنين. الاول كتاب «تسعة تأملات روحية في سيرة القديس انطونيوس النسكيّة» ، وضعهُ باللسان التلياني الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي ، ونقلَهُ الى اللسان العربي الخوري اندراوس

١) ان اثبات الاكرام للقديس يوحنا مارون يشتمل على ثلاثة اقسام ، وكل قسم منها يتفرّع الى فصول . يبتدئ في الكتاب المخطوط من صفحة ١٧٣ الى آخر صفحة ٢٠٦ . وفي كتاب «المحاماة» من صفحة ٢٢٣ الى صفحة ٤٦٣ . ثم يأتي خطاب البابا بنادكتوس الرابع عشر ، في المخطوط صفحة ٣٩١ وفي «المحاماة» صفحة ٤٦٣ الى آخر صفحة ٤٥٨ . ثم الاجوبة السنيّة عن الطائفة المارونية للقس ميخائيل فاضل والقس الياس الجميّل . في المخطوط صفحة ٤٠٥ الى ٤٣١ . وفي كتاب «المحاماة» صفحة ٤٥٩ الى ٤٩٢ . ويليها في المخطوط فهرس اسماء البابوات والاجيال التي عاشوا فيها من ٤٣١ الى ٤٦٣ . ثم فهرس اسماء الاراطقة والاجيال التي ظهروا فيها من صفحة ٤٦٣ الى ٤٧١ . ثم فهرس المجامع التبلية المقدسة صفحة ٤٧١ الى ٤٧٥ . ثم سلسلة بطاركة انطاكية صفحة ٤٧٥ الى صفحة ٤٨١ ، وهي الاخيرة من هذا الكتاب المخطوط . وقد سطر ناسخهُ الاب نعمة الله النجّار فيها تنبيهاً مرّ ذكره .

اشرنا الى ان الاب حنين طبع هذا الكتاب المخطوط برمتهِ بعد ان حذف منه فهرس اسماء البابوات .

اسكندر القبرصي الماروني . والثاني كتاب « المحاماة عن الموارنة وقديسيهم »، جمع موادهُ ونسّقها بخطهِ ، الاب نعمة الله النجّار البسكنتاوي الراهب اللبناني، كما بيّنا ذلك باسهاب . وقد تبسّطنا في الامر خشية ان يظن بنا اننا اردنا التحامل على الاب حنين وقد أمسى في عداد الأموات ، ونحن أبعد من ان نفتكر بالتطاول او الافتئات على الكرامات ، ولكن هي الحقيقة يجب ان تُقال بدون مداراة ومماراة . ولو لم يكن الاب النجّار من ابناء رهبانيتنا ولا ينبغي ان يُطوى اسمهُ ، ويُهضم حقُّهُ ويُعدم أجرهُ ، لما تعرّضنا لمثل هذا الكشف والمعارضة مكرهين ، والله من وراء النيات وهو فوق كل ذي علمٍ عليم .

ولا يسعنا في هذا المقام إلّا ان نثني الثناء العاطر على يراعة وبراعة الكاتب اللغوي الألمعي الشيخ سعيد الخوري الشرتوني الذي هذّب عبارة كتاب «المحاماة» وأبقى معناها على صبغتهِ ورميتهِ ، وتلك مقدرة ندر ان يجاريه بها كاتب مجيد . وقدّر المولى ان انتهى الكتاب اليهِ ، فأخرجهُ قلمهُ البليغ من تحت ملزم الطبع مختالاً ببردهِ القشيب المحبّر ، سليماً من التصحيف والتحريف .

واننا في كلّ حالٍ نستغفر الله عما طغا به القلم أو زلّت القدم ، انهُ لاجابة كفيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .